

وظائف الأيام





## مُقَدِّمَةٌ

### الشيخ / محمد فريد

الحمد لله الذي رضي من عباده باليسير من العمل، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل، وأفاض عليهم النعمة، وكتب على نفسه الرحمة، وضمّن الكتاب الذي كتبه: أن رحمته سبقت غضبه، دعا عباده إلى دار السلام، فعمهم بالدعوة حجة منه عليهم وعدلاً، وخصّ بالهداية والتوفيق من شاء نعمة ومنة وفضلاً، فهذا عدله وحكمته وهو العزيز الحكيم، وذلك فضله يؤتية من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة عبده وابن عبده وابن أمته، ومن لا غنى به طرفة عين عن فضله ورحمته، ولا مطمع له في الفوز بالجنة، والنجاة من النار إلا بعفوه ومغفرته.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحببيه وخليئه، بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، وتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلّى الله وملائكته وجميع عباده المؤمنين عليه، كما وحّد الله - عزّ وجلّ - وعرفنا به ودعا إليه.

ثم أمّا بعد:

فقد اطلعت على رسالة ابننا الحبيب / هشام عبد الجواد في «وظائف الأيام»، فألفيتها جامعة للفوائد والفرائد، على صغر حجمها، وكنت أتمنى أن يعرّج أولاً - ولو في المقدمة - إلى خطر الأنفاس واللحظات، وكيف أن أنفاس العبد خطاه إلى قبره.

يا من بدنياه انشغل      وغرّه طول الأمل  
الموت يأتي بغتة      والقبر صندوق العمل

وكنت أتمنى أيضاً أن يشير إلى ما استولى على القلوب من طول الأمل، وبلوغ  
الوطر، والغفلة عن الاستعداد للأخرة، قَالَ الْعَجَلِي: ﴿ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ  
الْأَمَلَ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴾ (الحجج: ٣).

وعلى كل حال فقد تكلم ابننا/ هشام- وهو من أسرة طيبة متدينة- في موضوع  
رسالته، وأدى الغرض من رسالته، وأنا أعلم أن له أثراً طيباً على إخوته وإخوانه، فأسأل  
الله تعالى أن ينفع به، وأن يفتح لكتاباته قلوب عباده، وأن ينفعه بها يوم الورد عليه.  
والله الموفق للطاعات، والهادي لأعلى الدرجات.

وأخبر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

وكتبه  
المحرفير

## مَقَرِّفًا

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَآنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الْحَجَرَاتُ: ١٠٢).

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (الْمَائِدَةُ: ١).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْجُرَاتِيبُ: ٧١، ٧٠).

أَمَّا بَعْدُ..

فِيَانْ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ..

فِيَانْ الْوَقْتُ هُوَ رَأْسُ مَالِ الْعَبْدِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، فَطُوبَى لِمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ، فَكَانَ أَحْرَصَ عَلَى وَقْتِهِ مِنْهُ عَلَى مَالِهِ كَمَا كَانَ حَالُ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وَخَسِرَ مِنْ أَضَاعِ الْأَوْقَاتِ فِي غَيْرِ طَاعَةٍ، فَضْلًا عَنْ إِضَاعَتِهَا فِي الْمَعَاصِي.

ونظرًا لتكالب القلوب على الدنيا وغفلتها عمّا خلقت له من عبادة الله والاستقامة على دينه - إلا من رحم الله - فقد وضعتُ هذه الرسالة سائلًا الله عزَّ وجلَّ أن يجعلها تبصرةً لي ولإخواني وسببًا لزوال الغفلة والكسل عن القلوب، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكتبه

دكتور هشام محمد بن عبد الوهاب الزهري

## الْفَضِيلَةُ الْأَوْلَى

### الوظائف العامة للأيام

وأعني بالوظائف العامة.. الأعمال الصالحة غير المختصة بيومٍ محدّدٍ بل ينبغي للمؤمن أن يتعاهدها في كلّ يوم لمزيد أهميتها ولعظيم أثرها في القلوب، وهي الذكر، والدعاء، والإكثار من التنفل بالصلاة، والتوبة، وحفظ اللسان، ومحاسبة النفس، والتفكير.

#### أولاً - الذكر:

وهو قوت القلب وغذاؤه، فلا حياة للقلب بدون الذكر، كما أنّه لا حياة للسّمك بدون الماء، فمن وجد في قلبه الألم عند فوات الأذكار، فهذه علامة حياة قلبه، ومن لم يتألم لفوات الذكر، فهذه علامة من علامات مرض القلب.

وقد صارت هذه العبادة عند الكثير مجرد حركة للسان لا حظاً للقلب فيها، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون، فالذكر الخالي عن التدبر - وإن كان له ثواب - أجره أنقص وأثره في صلاح القلب وتهذيب النفس أضعف، ومن أفضل ما قيل في أسباب تحصيل تدبر الذكر ما أورده الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ في كتاب «التذكرة في الوعظ».

قال رَحِمَهُ اللهُ: «أول ما يحتاج إليه العازم على ذكر الله: التفرغ من الشواغل الظاهرة، ثمّ تسكين جوارح البدن عن الحركات الشاغلة، ثمّ قطع الفكر عن القلب، ثمّ إشعار نفسه عظمة ما قد عزم عليه من ذكر ربه، ثمّ استفراغ الوسع في تجويد الذكر، ثمّ إطالة مجلس الذكر ما أمكنه إطالته، ثمّ التحفظ بالحالة التي استفادها قلبه من الرقة باجتناب الملهيات.

قلت: يشمل ذلك المعاصي والمكروهات، من حين يقوم عن الذكر إلى أن يعود إليه، فهذه الشرائط السبع من راعاها حق الرعاية بلغ من مراد الذاكرين أقصى الغاية» (انتهى كلامه).

قلت: وكلامه يدل بوضوح على أهمية الإقدام على هذه العبادة الجليلة، والقلب مقبلٌ متفرِّغ، وكذا يدل على أهمية إطالة مجالس الذكر التي يجلسها العبد لا أن يجعل الذكر عبادةً تُقضى في فارغ الأوقات وفي هامش الأولويات، بل هي عبادة عظيمة الفائدة جليلة القدر لها الوقت المحدد المصون الذي لا تُترك فيه بحال، خاصة وأن الذكر لا مشقة فيه.

وقوله: «تجويد الذكر» يعني به التدبر وحسن التعقل.

وقد ملئت الكتب - بحمد الله - بفضائل الذكر، سواء فضائل الذكر عموماً أو فضائل الأذكار الخاصة، كأذكار الصباح والمساء، وأذكار دخول المنزل والمسجد، والخروج منها وغيرها من الأذكار، فلا أريد الإطالة بذكرها، ولكنني أوجه النصح لنفسي ولإخواني الذين غفلوا عن الذكر، والقرآن بحجة طلب العلم أو الدعوة، فأنصحهم بلزوم هذه العبادة العظيمة، والإكثار منها؛ إذ لا حجة لهم في تركها، فقد أوصى رسول الله ﷺ أعلم الأمة بالحلال والحرام، فقال له: «واذكر الله عند كل حجر وشجر» (صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»)، فكيف يزعم زاعم أن الذكر يشغل عن العلم؟؟

وأمر ربنا المجاهدين به، وهم أعظم الدعاة أجراً، فقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الأنفال: ٤٥).. فيا عجباً لدعاة يغفلون عنه!!

ثم إنه لا يسلم أحد في الغالب من كسل أو فتور، فشغل هذه الأوقات بالذكر أولى من إخلائها عن عبادة، ويكفي في فضل الذكر قول النبي ﷺ: «ما عمل آدمي عملاً قط أنجى له من عذاب الله من ذكره الله» (رواه أحمد وصححه الألباني).

ويكفي أيضاً في فضله قول رسول الله ﷺ لأحد صحابته لما سأله فقال: قد كثرت علي شرائع الإسلام، فأخبرني بشيء أتشبث به، فقال له رسولنا: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله» (رواه الترمذي وصححه الألباني).

إخواني.. اذكروا الله بالمساء والصبح.. عسى أن يدرككم أعظم فلاح.. أما تريدون أفضل المنازل.. ها هي قد بانت فأين النازل؟! (١).

والله لو تعلمون فضائل ما فاتكم من أذكار، لتقطعت قلوبكم حزناً على الثواب.. فالزموها من اليوم.. تأمنوا العقاب (٢).. وابدءوا اليوم واختموه بها (٣).. عسى أن تُزال الأوزار.. فمن تدبر في ذكره.. غمرت قلبه الأنوار.. ومن أدمن الأوراد.. لم ينقص وقت علمه بل زاد.. فقليل الذكر كثير النوم.. والمكثر منه قليل الرقاد (النوم).. ذكّر الله بركة

(١) أعني قول رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، لم يجئ يوم القيامة أحد أفضل من عمله إلا من قال مثل قوله أوزد» (رواه النسائي في «الكبرى»، وحسنه الألباني)، وقال أيضاً ﷺ: «من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله ويحمده مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أوزد عليه»، فدل على أن الذكر أفضل الأعمال، ومنزلة أهله أعلى المنازل.

(٢) ففي الحديث: «سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فمن قالها من النهار موقناً بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة» (رواه البخاري في «صحيحه»).

(٣) أعني أذكار الصباح والمساء.

ونور.. فمن تركه فأرض قلبه بور.. في ذكر الصباح خيرات وخيرات.. فاتركوا السهر  
تُحْصَلُوا البركات<sup>(١)</sup>.. وفي ذكر المساء برد ويقين.. فاحذروا النوم واللعين<sup>(٢)</sup>.. وما فاتكم  
من ذكر فاقضوه.. عسى أن تدرکوا الخير ولا تحرموه.

إخواني.. لا تتركوا ما بعد الصلاة من أذكار.. أما علمتم بثوابها!! فحسر والله  
الكسلان!!<sup>(٣)</sup>.

وتمسكوا بكتاب ربكم.. فلنعم الشفيح والبرهان.. وطهروا القلوب لثلاثمله..  
هكذا قال ابن عفان<sup>(٤)</sup>.

ربيع القلوب، ومذهب المهوم ومجلي الأحزان.. وأعظم من ذلك بفضل المنان..  
فأكثروا قدر المستطاع.. فقد جزأه الصبح إلى أسباع<sup>(٥)</sup>.. واقرأوه ليلاً ونهاراً.. فمن  
أعرض عنه ضاع.. فالقرآن القرآن.. والقرآن القرآن.. لو تعلمون منه ما يعلم العارفون..  
لو ذقتهم من حلاوته ما ذاق المحبون.. لو تدركون كم حصّل من كنوزه المتدبرون.. عجباً  
ثم عجباً للناس كيف عنه يغفلون.

(١) أعني أنه ينبغي على المؤمن ألا يكثر من السهر بالليل؛ لثلا يضطر إلى النوم بعد الفجر مباشرة، فتفته  
حلاوة أذكار الصباح، وأثرها العظيم في القلب.

(٢) أعني أنه ينبغي على المؤمن أن يحذر الشيطان لثلا يكسله، فينام بعد العصر، ويترك أذكار المساء، وليستعن  
على ذلك بقلة الطعام خاصة في الغداء.

(٣) فقد ورد في الحديث: «من قال دبر كل صلاة مكتوبة سبحان الله ثلاثاً وثلاثين، والحمد لله ثلاثاً  
وثلاثين، والله أكبر ثلاثاً وثلاثين، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد  
وهو على كل شيء قدير غفرت له ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر» (رواه مسلم).

(٤) أعني قول عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لو طهرت قلوبكم ما شبت من كلام ربكم.

(٥) أعني ما ورد عن الصحابة أنهم كانوا يقرأون القرآن في كل سبعة أيام، فعلى المرء أن يكثر من تلاوته قدر  
المستطاع.

إخواني.. لا أستطيع وصف أثر القرآن في القلوب.. فأعظموا بكلام علام الغيوب.. أما فيه للعلماء دلائل واستنباطات.. وللعباد دقائق وإشارات.. وللدعاة قصص مثبتات.. بتلاوته تصلح القلوب.. وتبديره تُعرف العيوب.. قال عنه ربكم: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (المائدة: ١٥)، وقال أيضًا: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٥٧).. كفى والله في فضله هاتان الآيتان.

### فائدة:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «كان له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حزبٌ يقرؤه ولا يخل به، وكانت قراءته ترتيلًا لا هذا ولا عجلة، بل قراءة مفسرة حرفًا حرفًا، وكان يقطع قراءته آية آية». (زاد المعاد: ١ / ٤٨٢)

### ثانيًا - الدعاء:

والتأمل لما ورد في السنة عن الدعاء، يعجب لكثرة ما ورد عن فضله وأوقات إجابته وآدابه، وأسباب استجابته، وأسباب رده، وكذا ما ورد فيها من أدعية كثيرة، واستعاذات، مما يدل على أن لهذه العبادة شأنًا في الإسلام، ويشهد لهذا قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدعاء هو العبادة» (رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني).

ولا أبالغ إن قلت: من أدمن الأدعية الواردة في الكتاب والسنة وتأدب بآداب الدعاء صار من العارفين بفضل الله.

وهل أدل على أهمية الدعاء من كثرة ما أورده القرآن من أدعية دعا بها الأنبياء والرسل وعباد الله الصالحين مادحًا لهم على دعائهم بها ومعلمًا لنا الاقتداء بهم في ذلك حتى أنه سبحانه أخبر عن صفات عباد الرحمن - وهم المخلصون الذين وصفهم الله بصدق العبودية له - وجعل من كمال عبوديتهم أنهم يدعون فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا ۗ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (الفرقان: ٦٥، ٦٦)،

ويقولون: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (الفرقان: ٧٤).

ولعظيم أهميته كان هو سلاح المؤمنين في مواجهة أعداء الدعوة، فقد قال سبحانه لنيه: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (التوبة: ١٢٩)، وأخبر سبحانه عن عباده المؤمنين أنهم قالوا في مواجهة الظلم والظالمين: ﴿ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٨٥) ﴿ وَنَحْنُ بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (يونس: ٨٥، ٨٦)، ﴿ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ (الأنعام: ٨٩)، ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥٠)، ﴿ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (الجنكوت: ٣٠)، ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (٤) ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الممتحنة: ٤، ٥).

ولزيد مكانته وعظيم نفعه صار هو ديدن الأنبياء والصالحين للنجاة من أهوال يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْرَىٰ اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتَ تَوَكَّلْنَا وَأَغْفِرْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الحجرات: ٨)، وأخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كما في الصحيح - عن يوم القيامة، فقال: «ودعوى الأنبياء يومئذ: ربنا! سلم سلم».

ومن كريم فضله أنه سبب رفع البلاء ومنعه، فقد مرَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوم مبتلين فقال: «أما كان هؤلاء يسألون العافية» (أورده الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: ٢١٩٧)، وقال أيضًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يردُّ القضاء إلا الدعاء».

(أورده الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: ١٥٤)

ولعلم النبي ﷺ بأهميته كان إذا حزبه أمر، قال: «يا حيّ يا قيوم برحمتك أستغيث» (السلسلة الصحيحة رقم: ٢٤٩١)، و«كان إذا حزبه أمر صلى» (رواه أبو داود وصححه الألباني)، والصلاة من أولها إلى آخرها دعاء.

وقد علم الصحابة هذه الأهمية فكانوا يسألون عنه، ففي الصحيحين أن أبا بكر قال: يا رسول الله علمني دعاءً أدعوه به في صلاتي، فقال: «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرةً من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم»، وروى أبو داود والترمذي - وصححه الألباني - أن شكل بن حميد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: علمني يا رسول الله دعاءً، فقال: «قل: اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي، ومن شر بصري، ومن شر لساني، ومن شر قلبي، ومن شر مني»، وروى الترمذي - وصححه الألباني - أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت يا رسول الله: أرأيت إن علمتُ أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: «قولي: اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعفُ عني».

وقد علم ﷺ من صحابته اجتهادهم في الدعاء وطلبهم لأعلى المراتب فيه، فقال لهم: «أتحبون أن تجتهدوا في الدعاء؟ قولوا: اللهم أعنا على شكرك وذكرك وحسن عبادتك» (رواه الإمام أحمد في المسند وصححه الألباني).

وكيف لا يدركون أهميته وقد تواتر عنه ﷺ اهتمامه ومداومته على هذه العبادة، فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قلما كان يقوم رسول الله ﷺ من مجلسٍ حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلّغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهوّن به علينا مصيبات الدنيا...» إلى آخر الدعاء المشهور (رواه الترمذي وحسنه الألباني)، وقال ابن عمر أيضًا: كان يُعدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة قبل أن يقوم «رب اغفر

لي وتب عليّ؛ إنك أنت التواب الغفور» (رواه الترمذي وأبو داود وصححه الألباني)، إلا أن أبا داود رواه بلفظ: «التواب الرحيم».

إخواني.. من أراد أن ينجع الدعاء في قلبه.. فليدع بأدعية رسوله ﷺ، وليلح وليكثر.. كم من خير لا يستطيعه العبد.. فإن دعا فسيهتدي ويبصر.. فضلاً من الله ونعمة.. والله أعظم وأكثر.. لا يشقى عبد مع الدعاء أبداً.. ألم يقل زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيحًا﴾ (بَرَاءة: ٤).. إخلاص الدعاء نور القلب.. وكم من داع صار تقياً.

إخواني.. لا كمال للدعاء بغير اليأس من النفس والثقة في الرب.. فمن تحقق هذين؛ كمل حاله واستقام أمره.. فلا تيأسوا لحرمانكم من الطاعة.. فربما حرمتم لتدعوا.. ولتتضرعوا.. فمحروم يدعو ويتضرع خير من طائع آمن واثق من نفسه.. انظروا كيف كان اجتهادكم أن تعترفوا بحاجتكم إلى إعانة ربكم<sup>(١)</sup>.. وخير دعائكم إقراركم بأن الفضل من ربكم<sup>(٢)</sup>.

إخواني.. لو تعلمون ما علم العارفون من الذكر والدعاء.. لو ذقتم ما ذاق المحبون من التضرع والثناء.. لحزنتم على ما فات، ولكثر البكاء.. فأكثرُوا من الصلاة على رسولكم ﷺ.. فهو الذي دلکم على الخير كله.. وادعوا بأدعيته فيها الشفاء.. وأيقنوا ألا حول ولا قوة إلا بالله.. فهي كنز من كنوز الجنة.. وطوبى لأهل الثناء.. اشكروا الرب على توفيقكم للطاعة.. فلاهل الشكر المزيد.. وما حرمتكم فاسألوه وتضرعوا، فللداعين العون المديد.

(١) أعني ما ورد في الحديث: «أتحبون أن تجتهدوا في الدعاء؟ قولوا: اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» (صححه الألباني في «صحيح الجامع»).

(٢) أعني ما ورد في الحديث: «أفضل الذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله» (رواه الترمذي، وصححه الألباني).

إخواني، إذا حرمتهم ووفَّق غيركم.. فلا تحقدوا ولا تحسدوا.. ولكن سلوا الله أن يثبتهم ويرزقكم.. عسى أن يستجاب لكم.

### ثالثاً- الإكثار من التنفل بالصلاة:

وهو عمل هام ينبغي على المؤمن تعاهده، في عصره ويسره، فقد صح عن رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنه كان إذا حزبه أمرٌ فزع إلى الصلاة، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اعلموا أن من خير أعمالكم الصلاة» (صححه الألباني)، ولما كانت نافلتنا تعوض الفريضة، فكثير منا فاتته صلوات، ومن صلاها كلها لم تسلم صلاته من غفلة، ونقص خشوع وقلة تدبر، فالذي ينبغي على المؤمن تعاهد نوافل الصلاة والإكثار منها، وقد نص الفقهاء على أنه من ترك النوافل كلها ردت شهادته ولم تقبل عند الحاكم.

إخواني.. صلى سفيان الثوري في الحرم، فسجد سجدة، فطاف طائف سبعة أشواط، وسفيان ساجد، وقبل ذلك قام رسولكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبقرة وآل عمران والنساء في ركعة واحدة.. فأكثرُوا من التنفل يرحمكم الله.

إخواني.. من فاته قيام الليل ففي الضحى مستعتب.. وبين المغرب والعشاء فليُنصب.. الصلاة نور القلب ووقوده.. فمن فرط فلن يستقيم على خير عوده.. أما سمعتم بثابت الهجَاد<sup>(١)</sup>.. أما علمتم بآبن طلحة السَّجَاد<sup>(٢)</sup>.. أما بلغكم تورم قدم خير العباد<sup>(٣)</sup>.. فطوبى لمن استبصر، واستعد ليوم التناد (القيامة).

(١) أعني: ما ورد عن ثابت البناني أنه كان لشدة حبه للصلاة والتهجد يقول: «يا رب لو رزقت أحدًا الصلاة في قبره، فارزقنيها»، فكان بعد مماته يُرى في قبره مصليًا.

(٢) أعني: محمدًا بن طلحة الذي كان يطيل السجود جدًّا، حتى سمي بالسجاد.

(٣) أعني ما ورد من تورم قدم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من طول القيام، فستل عن ذلك، وقد غفر الله له، فقال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا».

قدر إيمانكم على قدر تعظيمكم للصلاة.. فلا تضيعوا حلاوة الفجر بطول السهر والرقاد<sup>(١)</sup>.. وأقيموا الصلاة لرب العباد<sup>(٢)</sup>.. وأطيلوا واخشعوا وتضرعوا.. فالصلاة خير زاد.

### فوائد:

١- قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في كتابه القيم «الوابل الصيب من الكلم الطيب»: «والناس في الصلاة على مراتب خمس:

أحدها- مرتبة الظالم لنفسه المفرط، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقبتها وحدودها وأركانها، فهذا معاقب.

الثاني- من يحافظ على مواقبتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكن قد أضاع مجاهدة نفسه في الوسوسة، فذهب مع الوسوس والأفكار، فهذا محاسب.

الثالث- من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوسوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاةٍ وجهاد، فهذا مكفّر عنه.

الرابع- من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها واستغرق قلبه في مراعاة حدودها وحقوقها لئلا يضيع شيئاً منها، وهمه كله مصرّوف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها، فهذا مثاب.

(١) أعني: أنه يجب الحذر من طول السهر بالليل، ولو بالقيام، إذ هو سبب لكسل العبد في صلاة الفجر، والفريضة أهم من قيام الليل، وكذلك ينبغي الحذر من النوم طوال الليل حتى الفجر، فهو سبب كذلك لكسل القلب عن الصلاة.

(٢) أعني: أنه ينبغي للمؤمن أن يهتم بإقامة صلاته، والخشوع فيها على أكمل وجه، ويعينه على ذلك: في الفجر بما ذكرناه آنفاً، وللظهر بالمحافظة على أربع قبلها، وللعصر بالمحافظة على أربع قبلها كذلك، وبعد المبالغة في الأكل، وللمغرب بالمحافظة على أذكار المساء قبلها، وللعشاء بالتنفل بين المغرب والعشاء - والله المستعان -.

الخامس- من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضع بين يدي الله ناظرًا بقلبه إليه مراقبًا له، ممتلئًا من محبته وعظمته كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوسوس والخطرات، فما بينه وبين الغافل في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض، وهذا مقربٌ من ربه» (انتهى كلامه بتصرف يسير).

قلت: وفيه أنّ محاولة الخشوع في الصلاة ومجاهدة النفس في ذلك واجبة.

٢- في الحديث: «إنَّ الرجلَ لينصرف وما يكتب له إلاَّ عُشْرُ صَلَاتِهِ، تُسْعَهَا، تُمْنَهَا، سُبْعَهَا، سُدْسَهَا، حُمْسَهَا، رُبْعَهَا، ثُلُثَهَا، نِصْفَهَا» (رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع)، وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «لَيْسَ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ إِلَّا مَا عُلِقَتْ مِنْهَا».

قلت: فمن راجع نفسه وتفكر في هذا الأمر حق التفكير أكثر من النوافل ولا بد؛ ليعوّض نقص الفرائض، وهذا أمرٌ ثقيل على النفس في البداية - أعني الإكثار من النوافل والإطالة فيها - ولكنه يسهل على النفس مع المداومة عليه حتى تصير سعادة النفس فيه، فعلى المؤمن ألا يغفل عن هذا الأمر الخطير، فعن ابن مسعود أَنَّهُ قَالَ: «الصَّلَاةُ مَكْيَالٌ، فَمَنْ أَوْفَى اسْتَوْفَى، وَمَنْ طَفَفَ فَقَدْ عِلِمَ مَا قَالَ اللَّهُ ﴿وَبَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (المُطَفِّفِينَ: ١).

٣- قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمِثْلِ نَهْرِ غَمْرِ جَارٍ عَلَى بَابٍ أَحَدَكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ» (رواه مسلم)، فالمحافظة على الصلوات في المساجد عملٌ عظيم، وله أثره الكبير في صلاح القلوب، وعن سعيد بن المسيب أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ حَافِظٌ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِي جَمَاعَةٍ فَقَدْ مَلَأَ الْبِرَّ وَالْبَحْرَ عِبَادَةً» ولكن ينبغي الحرص على حسن أدائها وتعويض نقصها بالنوافل، وقد مُدِحَ غيرُ واحدٍ من السلف بأنَّه: «ما حضره حقٌّ من حقوق الله إلاَّ وهو مستعدُّ له»، فيا عجبًا للبعض الذي تتكاسل نفسه عن محاولة الخشوع في الصلاة - مع وجوب ذلك - لكونهم يرون أنفسهم غير

سالكة لطريق الزهد، وتمتئهم أنفسهم بالمحاولة إذا سلكوا طريق الزهد، ويستمر حالهم على هذا، فَلَا هُمْ يَسْلُكُونَ طريق الزهد، ولا هم يَحَاوِلُونَ الخشوع في الصلاة!!

إخواني.. أعمال الخير كثيرة، ولا يستطيع كلُّ أحدٍ كلَّ شيء فاعملوا بالفضائل كلها ولو لمرة، والزموا عملاً أو عملين لا تتركوهما حتى الممات، عسى أن تكون نجاتكم به.. فمن استطاع أن يكون عمله عمل بلال (المحافظة على الوضوء مع صلاة ركعات بعده) فليفعل.

ومن استطاع أن يكون عمله الدعاء بالسَّحَر وصلاة ركعات به فليفعل، فقليل السحر كثير.

ومن استطاع أن يكون عمله اللهج بالذكر في كل وقت والإكثار من تلاوة القرآن فليفعل، فقد قال رسول الله ﷺ موصياً أحد صحابته: «ألا يزال لسانك رطباً من ذكر الله».

ومن استطاع أن يكون عمله تحفيظ القرآن وتعليمه للناس فليفعل، ففي الحديث: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (رواه البخاري).

ومن استطاع أن يكون عمله فك كربات الناس والسعي في حوائجهم، فليفعل، ففي الحديث: «خير الناس أنفعهم للناس» (صححه الألباني في «صحيح الجامع»).

قلتُ: وأنفع ما يكون تعليم الناس الشرع والدين.

ومن استطاع أن يكون عمله الصلاة والإكثار منها، فليفعل، ففي الحديث: «اعلموا أن خير أعمالكم الصلاة» (رواه ابن ماجه وصححه الألباني).

ومن استطاع أن يكون عمله الحج والعمرة مع إحسانها والإكثار من الدعاء فيها فليفعل، ففي الحديث: «تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب». (رواه الترمذي وصححه الألباني)

ومن استطاع أن يكون عمله الإكثار من الصوم فليفعل، فقد قال رجل: دُلّني على عمل يدخلني الجنة يا رسول الله؟، فقال ﷺ: «عليك بالصيام، فإنه لا عدل له» (رواه النسائي وصححه الألباني)، ولكن ينبغي لكل هؤلاء عدم ترك الأصول من رواتب النوافل، وأذكار الصباح والمساء، والإكثار من الصيام وقراءة القرآن قدر المستطاع.

### فوائد:

١ - على المرء أن ينتبه لأهمية إتقان العمل الصالح وحسن أدائه؛ فليس المقصود الكم ولكن المقصود الكيف؛ ولذا ورد عن كثير من السلف - وروي عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُمْ قَالُوا: «كونوا بقبول العمل أهم منكم بالعمل» يقصدون أهمية إتقان العمل وإحسانه ولو كان قليلاً في كمّه، وقد وصف الإمام الآجري رَحِمَهُ اللهُ حال هؤلاء الذين يهتمون بالكيف لا بالكم، فقال: «ليس همته متى أختتم السورة، همته متى أستغني بالله... متى أكون من المتقين... متى أكون من المحسنين، متى أكون من المتوكلين... متى أكون من الخاشعين... متى أكون من الصابرين... متى أكون من الصادقين... متى أكون من الخائفين... متى أكون من الراجين... متى أزهد في الدنيا... متى أرغب في الآخرة... متى أتوب من الذنوب... متى أعرف النعم المتواترة... متى أشكر عليها... متى أعقل عن الله الخطاب... متى أفقه ما أتلو (أي: من القرآن)... متى أغلب نفسي على ما تهوى... متى أجاهد في الله حق الجهاد... متى أحفظ لساني... متى أغض طرفي... متى أحاسب نفسي... متى أتزود ليوم معادي... متى أكون عن الله راضياً... متى أكون بالله واثقاً... متى أكون بزجر القرآن متعظاً... متى أكون بذكر الله عن ذكر غيره مشتغلاً... متى أحب ما يجب... ومتى أبغض ما يبغض... متى أنصح لله... متى أخلص عملي لله...

متى أقصّر أجلي... متى أتأهب ليوم موتي وقد غيَّب عني أجلي... متى أفكر في الموت وشدته... متى أفكر في خلوتي مع ربي... متى أفكر في المنقلب... متى أحذر ممّا حذرني منه ربي» (انتهى بتصرف يسير من كتاب «أخلاق حملة القرآن» للأجري).

٢- من أراد أن تعلقو همته وتقبل نفسه على أبواب الخير والطاعات المتنوعة، فعليه بقيام الليل وتدبر القرآن فيه.

٣- قد بين النبي ﷺ فضل العلم وتعليمه على غيره من الأعمال الصالحة فقال: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» (رواه الترمذي وحسنه الألباني)، وقال: «مَنْ دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من يتبعه» (رواه مسلم)، ولكن لا بد من العمل بهذا العلم وإلا كان حجةً على العبد فقد صح عن أبي الدرداء أنه قال: «إنما أخشى على نفسي أن يُقال لي على رؤوس الخلائق: يا عويمر هل علمت؟ فأقول: نعم، فيقال: ماذا عملت فيما علمت».

وقال قتادة: «بابٌ من العلم يحفظه الرجل يطلب به صلاح نفسه وصلاح الناس أفضل من عبادة حولٍ كامل».

وقال الفضيل: «عالمٌ عاملٌ معلّمٌ يدعى كبيراً في ملكوت السموات» (رواه الترمذي موقوفاً عليه وصححه الألباني).

وقال مكحول: «ما عبد الله بأفضل من الفقه».

وقال سفيان بن عيينة: «أرفع الناس منزلةً عند الله من كان بين الله وبين عباده، وهم الرسل والعلماء».

وقال سفيان الثوري: «ما من عملٍ أفضل من طلب العلم إذا صحت فيه النية».

### رابعاً - التوبة:

وهي توجع القلب وحزنه على عصيانه لربه وعزمه الأكيد على عدم العودة إلى ما يسخط الله.

قال الغزالي رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِ «مَنْهَاجِ الْعَابِدِينَ»: «عَلَيْكَ يَا طَالِبَ الْعِبَادَةِ - وَفَكَ اللهُ لَطَاعَتَهُ - بِالتَّوْبَةِ، وَذَلِكَ لِأَمْرَيْنِ:

أحدهما - ليحصل لك توفيق الطاعة، فَإِنَّ شَوْمَ الذُّنُوبِ يورث الحرمان، ويعقب الخذلان، وَإِنَّ قَيْدَ الذُّنُوبِ يمنع من المشي إلى طاعة الله، والمسارعة إلى خدمته، فكيف يوفق للطاعة من هو في شَوْمِ المعصية والقساوة؟! وكيف يقرب للمناجاة من هو متلطح بالأقذار والنجاسات؟! فلا جرم أن لا يجد المصّر على العصيان توفيقاً، ولا تخف أركانه للعبادة، وإن اتفق فبِكَدٍّ لا حلاوة معه ولا صفاء، وكلُّ ذلك لشَوْمِ الذُّنُوبِ وترك التوبة.

والثاني - أَنَّهُ تَلْزِمُكَ التَّوْبَةُ لقبول عبادتك، فَإِنَّ رَبَّ الدِّينِ لا يقبل الهدية؛ وذلك أَنَّ التَّوْبَةَ عن المعاصي فرضٌ لازم، وعامة العبادة التي تقصدها نفل، فكيف يقبل تبرعك والدِّينُ قد حلَّ عليك لم تقضه» (انتهى كلامه بتصرف).

قلتُ: والمقصود التوبة النصوح الصادقة، وقد بيّن ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ شروط ذلك، فقال: «النصح في التوبة يتضمن ثلاثة أشياء:

أحدها - تعميم جميع الذنوب واستغراقها بحيث لا تدع ذنباً إلا تناولته.

والثاني - إجماع العزم والصدق بكليته عليها بحيث لا يبقى عنده تردد ولا تلؤم ولا انتظار، بل يجمع عليها كل إرادته وعزمته مبادراً بها.

والثالث- تخليصها من الشوائب والعلل القادحة في إخلاصها، ووقوعها لمحض الخوف من الله وخشيته والرغبة فيما لديه والرغبة مما عنده، لا كمن يتوب لحفظ جاهه أو حرفته أو لحفظ حاله أو ماله أو استدعاء حمد الناس أو الهرب من ذمهم» (انتهى من مدارج السالكين بتصرف).

وقال رَحِمَهُ اللهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ نَفْسِ الْكِتَابِ: «المبادرة إلى التوبة من الذنب فرص على الفور لا يجوز تأخيرها، فمتى أخرها عصى بالتأخير، فإذا تاب من الذنب بقي عليه توبة أخرى؛ وهي من توبته من تأخير التوبة، وقُلَّ أن تخطر هذه ببال التائب، بل عنده: أنه إذا تاب من الذنب لم يبق عليه شيء آخر، وقد بقي عليه التوبة من تأخير التوبة».

وقال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللهُ: «علامة التائب: إسبال الدمعة، وحب الخلوة، والمحاسبة للنفس عند كل همة».

### خامساً - حفظ اللسان:

وقد بين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطورة أمر اللسان بقوله: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه».

(رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب)

وبقوله: «وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها سُخطه إلى يوم يلقاه» (رواه مالك والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني)، ويقول: «إنك لن تزال سالماً ما سكت، فإذا تكلمت كتب لك أو عليك» (صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب)، ويقول: «وهل يكبُّ الناس في النار على وجوههم إلا حصائدُ ألسنتهم» (رواه الترمذي وأحمد وصححه الألباني).

وقد علم السلف خطر اللسان، فكانوا أشدَّ الناس تحفظاً منه، قال محمد بن واسع: «حفظ اللسان أشدَّ على الناس من حفظ الدينار والدرهم».

وقال فضيل بن عياض: «سجن اللسان سجن المؤمن».

وقال عمر بن عبد العزيز: «إذا رأيتم الرجل يطيل الصمت ويهرب من الناس، فاقربوا منه؛ فإنه يُلَقَّن الحكمة».

وقال سفيان بن عيينة: «طول الصمت مفتاح العبادة».

وقال مورق العجلي: «تعلمت الصمت في عشر سنين، وما قلت شيئاً قطُّ إذا غضبتُ أندمُ عليه إذا زال غضبي».

### سادساً - محاسبة النفس؛

وهي كما ذكر الماوردي رَحِمَهُ اللهُ: «أن يتصفح الإنسان في ليله ما صدر من أفعال نهاره، فإن كان محموداً أمضاه، وإن كان مذموماً استدركه إن أمكن، وانتهى عن مثله في المستقبل».

وعرفها ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ بقوله: «هي أن يميز العبد بين ماله وما عليه فيستصحب ماله، ويؤدي ما عليه؛ لأنه مسافرٌ سفر من لا يعود».

(انظر رسالة «من قبل أن تحاسبوا» للشيخ محمد عمر القاضي)

قلتُ: وأفضل أوقات المحاسبة بعد صلاة الفجر، فيتعاهد المرء نفسه بالتزام آداب وأحكام الشرع، وبعد صلاة العصر ليراجع ما فعله أثناء نهاره، وليتعاهدها بالتزام آداب الليل وهي قيام الليل، والنوم على وضوء والالتزام بأذكار النوم، والاستغفار والتوبة.

والمحاسبة مشروعةٌ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنظَرُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الجُثْرِ: ١٨).

قال عمر بن الخطاب: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم».

وقال الحسن البصري: «المؤمن قوام على نفسه يحاسبها الله، وإنما خفت الحساب على قومٍ حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قومٍ أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة».

وقال الحسن البصري أيضًا: «لا يُلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه، ماذا أردت بكلمتي؟ ماذا أردت بأكلتي؟ ماذا أردت بشربتي؟ والفاجر يمضي قدمًا لا يعاتب نفسه».

وقال مالك بن دينار: «رحم الله عبدًا قال لنفسه: ألسنت صاحبة كذا؟ ألسنت صاحبة كذا؟ ثم ذمها، ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله عز وجل فكان لها قائدًا».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «أضر ما على المكلف الإهمال وترك المحاسبة، والاسترسال، فإن هذا يؤول به إلى الهلاك، وهذا حال أهل الغرور، يهمل محاسبة نفسه والنظر في العاقبة، فإذا فعل ذلك سهل عليه موقعة الذنوب وأنس بها وعسر عليه فطامها».

قلت: على المؤمن الذي عزم على محاسبة نفسه وتهذيبها أن ينتبه لثقل ذلك على النفس في البداية، فإذا لزمته ودامت عليه ألفتة.

قال المحاسبي رَحِمَهُ اللهُ: «إنما ثقلت الفكرة (أي: تفكره في أمر آخرته) على العباد لثلاث خلال:

أحدها- أنه إذا تفكر سجن عقله عن الدنيا، فقطعه عن راحته بالفكر في الدنيا والنظر في أمورها.

والثانية- أن الفكر في المعاد وشدائده تلذيعٌ للنفس حين تذكر المعاد والحساب وما لها وما عليها، فيثقل الفكر على النفس من أجل ذلك؛ لأنه يثقل عليها ما أهاج عليها الغموم والأحزان.

والثالثة- أن النفس والشيطان قد علما أن العبد إنما يطلب بالفكر خوفاً يقطعه عن كل لذة لا تقربّه إلى ربه، ويحمّله على كل مكروه لها يحبه الله، فالنفس يثقل عليها الفكر إذا علمت أنه إنما يؤدي إلى قطع لذاتها عنها إذا كانت تبعتها عن ربه» (انتهى من كتاب «الرعاية» بتصرف يسير).

### فَضْلٌ

ولوازم صحة المحاسبة خمسة أشياء:

أولها- يقين العبد بتقصيره في طاعة الله ويتحقق ذلك بإكثاره ومداومته على تذكر سيئاته القديمة والحديثة حتى يورثه ذلك الذل والخضوع والإخبات لله، وكذا بإكثاره من الاطلاع على سير السلف الصالح؛ لينظر كيف كان اجتهادهم، وليعلم تقصيره الشديد بالنسبة لهم.

ثانيها- صدق خوفه من النار وصدق رجائه ورغبته في الجنة ولا يتحقق ذلك إلا بأمرين: وهما اطلاع العبد على صفة الجنة وصفة النار في الكتاب والسنة؛ ليعلم فظاعة النار وطيب الجنة وحسنها، والثاني- تفكره في حاله وأنه قد يُحرم من الجنة ويدخل النار، فالخواتيم مغيبة، وربما كان العبد يعمل الصالحات وفي باطنه خبيثة سوء - لا يعلمها إلا الله - تكون سبباً لسوء خاتمته والعياذ بالله، وتأمل قول الله عزَّجَلَّ الذي شابت منه القلوب ﴿ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ (طَلْحَةَ: ٧)، فالسر ما لا يعلمه من البشر إلا العبد نفسه، وأخفى منه ما هو في خبايا النفس مما لا يعلمه إلا الله، والذي ربما كان سبباً لسوء الخاتمة، والبشر كلهم تحت هذا الخطر... القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء... ﴿ وَبَدَأَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ (الزُّمَرِ: ٤٧)... إنَّ الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل

النار فيدخلها... ليس العجب ممن هلك كيف هلك، إنما العجب ممن نجا كيف نجا...  
كم من وجوه عاملة ناصبة وقع على قصص أعمالها تصلى نارًا حامية...

إخواني... طعام أهل النار أشدُّ تننًا من الغائط، وشرابهم أشدُّ حرارة من الحميم...  
خسروا أنفسهم وأهلهم... يُرسل عليهم البكاء فيكون الدمع حتى ينقطع ثم يكون  
الدم، فلو أجريت السفن في دمعهم لجرت... لا راحة لهم فيها... ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ  
الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَّرُونَ﴾ (البقرة: ٨٦)، ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبِّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ  
الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن  
نَّصِيرٍ﴾ (فاطر: ٣٧)، ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ  
الْحَمِيمُ ١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ٢٠ ﴿وَلَهُمْ مَقْنِعٌ مِّن حديدٍ ٣١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا  
أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿(الحج: ١٩-٢٢)، وأما أهل الجنة  
فهم: ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ٤٤ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ٤٥ بِيضَاءَ لَذَّةٍ  
لِّلشَّرِبِينَ ٤٦ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَرُونَ ٤٧ وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الْطَّرْفِ عِينٌ ٤٨ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ  
مُّكُونٌ ﴿(الصافات: ٤٣-٤٩)... ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ  
فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونُونَ ٥٦ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ٥٧ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ  
رَّحِيمٍ ﴿(يٰس: ٥٥-٥٨)... لا نصب فيها ولا صخب ولا ألم ولا تعب ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا  
٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ٣٣ وَكَأْسًا دِهَاقًا ٣٤ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ٣٥ جَزَاءَ  
مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿(النبا: ٣١-٣٦)، ﴿أَدْخِلُوا الْجَنَّةَ أُنثَىٰ وَأَزْوَاجَهُمْ مُّخَبَّرُونَ ٧٠﴾  
يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ  
فِيهَا خَالِدُونَ ٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٧٢ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ  
كثيرةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿(الزخرف: ٧٠-٧٣)... ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ

إِذَا جَاءَ وَهِيَ وَفَتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٢﴾  
 وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ، وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ  
 أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿الزُّمَرُ: ٧٣، ٧٤﴾.

ثالثها- كثرة ذكر الموت وقصر الأمل: فإن النفس طالما أمّلت في البقاء، لم تبادر إلى توبة أو استقامة، ولم تقبل نصح صاحبها لها ووعظه إياها، بخلاف من أكثرت من ذكر الموت.

قال ابن عقيل رَحِمَهُ اللهُ: «ما تصفو الأعمال والأحوال إلا بتقصير الآمال؛ فإن كلَّ من عدَّ ساعته التي هو فيها كساعته عند مرض الموت حسنت أعماله، فصار عمره كلُّه صافياً».

وقال الحسن البصري: «ما أطال عبدُ الأمل إلا وأساء العمل».

إذا أنت لم ترحل بزادٍ من التُّقى      ولاقيتَ بعد الموت من قد تزوداً  
 ندمت على أن لا تكون كمثلته      وأنت لم ترصد بما كان أرصداً

وقد بين الأوزاعي رَحِمَهُ اللهُ أهمية ذكر الموت فقال: «من أكثر ذكر الموت كفاه السير من العمل».

وقال د/ خالد أبو شادي معلّقاً على هذا القول: «إنّ دوام ذكر الموت يجعل للعبادة طعماً آخر في القلب، ووزناً آخر في ميزان الأعمال؛ لأنّها تخرج من قلبٍ مقبلٍ على الآخرة معرضٍ عن شواغل الدنيا».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «قصر الأمل هو العلم بقرب الرحيل، وسرعة انقضاء مدة الحياة، وهو من أنفع الأمور للقلب؛ فإنّه يبعثه على معافضة الأيام، وانتهاز الفرص التي

تمرّ مرّ السحاب، ومبادرة طيّ صحائف الأعمال، ويثير ساكن عزماته إلى دار البقاء، ويحثه على قضاء جهاز سفره، وتدارك الفارط، ويزهده في الدنيا، ويرغبه في الآخرة».

قلت: ومن أطال الأمل ونسي الموت أتاه الموت على حالٍ لا يرتضيها وندم حيث لا ينفع الندم.

وقد أحسن الناصح إذ يقول: «يا طويل الأمل... يا كثير الزلل... يا عظيم الكسل... يا عديم الوجل... الإفاقة الإفاقة قبل نزول الفاقة، فما أطلق عبد العنان لأمله إلا عثر في الطريق بأجله».

وما أجدر كلّ واحدٍ منا بأن يعظ نفسه بما وعظ به عبد الرحمن بن يزيد أحد الغافلين، فقال له: يا فلان هل أنت على حالٍ ترضى فيها الموت؟ قال: لا.

قال: فهل أجمعت لنقلةٍ إلى حال ترضى فيها الموت؟ قال: ما سنحت نفسي بذلك بعد.

قال: فهل بعد الموت دارٌ فيها مستعجب؟ قال: لا.

قال: فهل تأمن الموت بغتة؟ قال: لا.

قال: ما رأيت مثل هذا الحال رضى بها عاقل».

(من كتاب «سباق نحو الجنان» لد/ خالد أبو شادي)

رابعها- ربط القلب بالآخرة: فيربط المرء الدنيا بالآخرة، والأرض بالسما في كلّ ما يحدث له ومن حوله، فذلك من أكبر أسباب نجاح المحاسبة وتحقيق أهدافها.

وقد فهم السلف رَحْمَهُمُ اللهُ الأمر على حقيقته، وعلموا أنّ كلّ ما يحدث في الكون إنّما هو بإذن الله وله فيه الحكم الباهرة، والتي منها تنبيه قلب المؤمن وتذكيره بالآخرة، فكان أحدهم إذا وجد في دابته صعوبةً في الانقياد وفي زوجته سوءاً في الخلق نسب ذلك إلى سيئاته وقال: «كلّ ذلك بسبب ذنوبي».

ولذا قال بعض السلف: «إني لأعرف معصيتي في خلق دابتي وامرأتي».

وكان عطاء السلمي إذا وجد في السوق غلاءً قال: «كل ذلك بسبب عطاء، لو مات عطاء لاستراح الناس».

ومرّ بعض السلف بطريق فوقع على رأسه رمادٌ محترقٌ فقال: «من استحق النار فصولح عنها برمادٍ محترقٍ قد أحسن إليه».

ومرّ بعض السلف في طريقٍ، فاعترضه بعض السفهاء فشتمه ووقع فيه، فدخل بيته يبكي وقال: «ما سُلِّطَ عليّ إلا بسبب ذنوبي». ودعا عبد الله بن عمر عند إبطاره بماءٍ بارد، فلما تناوله بكى حتى اختلطت دموعه بالماء، فسئل عن ذلك فقال: تذكرت قول أهل النار ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (الأنعام: ٥٠). ومرّ الربيع بن خثيم بحدادٍ يدخل الحديد في النار، فتذكر نار جهنم فغشي عليه، وكان ابن المبارك جالساً وسط أصحابه ليلاً فانطفئ السراج فتذكر ظلمة الصراط فبكى حتى اخضلت لحيته بالدموع.

خامسها -مراجعة النية: ويشمل ذلك مراجعة النية في هذا العمل -أعني المحاسبة- على وجه الخصوص، وكذا مراجعة النية في الأعمال الصالحة على وجه العموم.

### ( أ ) النية في المحاسبة:

وذلك باستحضار المرء أنه بمحاسبته لنفسه يقوم بعملٍ مشروع له فيه الثواب حتى ولو لم يجد فيه لذة، أو نفرت النفس منه، ولم تقبل عليه بهمة في البداية.

**(ب) مراجعة النية في الأعمال الصالحة على وجه العموم:**

وذلك بمحاسبة المرء نفسه هل أخلصت في نيتها أم طلبت مدح الناس وثناءهم والشرف عندهم، وهل عند أدائها للعمل أعجبت، وطلبت الشهرة والرياسة والمكانة بينهم أم لا؟

قال الفضيل بن عياض: «من أحب أن يُذكر لم يُذكر، ومن كره أن يُذكر ذُكر».

وقال أبو داود السجستاني: «الشهوة الخفية حب الرياسة».

وقال يحيى بن معاذ: «لا يفلح من شمت منه حب الرياسة».

وقال أيوب السختياني: «ما صدق عبدٌ قطُّ، فأحبَّ الشهرة».

وقال محمد بن واسع: «إن كان الرجل لبيكي عشرين سنةً وامرأته معه لا تعلم».

وليعلم العبد بأن الأصل في نفسه أتمها تسعى لنيل مدح الناس والشهرة بينهم، وأن الإخلاص - كما قال بعض السلف - أعزُّ شيءٍ عليها لعدم وجود نصيب لها فيه.

سادسها - التذكُّر: قال شقيق البلخي: «المؤمن مشغول بخصلتين: «الاعتبار

والتفكير»، وقال ابن القيم: «التفكير من أجل أعمال القلب وأنفعها له، فالفكر هو الذي ينقل من موت الغفلة إلى حياة اليقظة».

قلتُ: للتفكير مجارٍ كثيرة كالتفكير في الموت، وتفكير المرء في سيئاته، التفكير في حال

الأمّة، التفكير في عيوب النفس، وقد مضى ذكرٌ لطرفٍ من هذه الأنواع في أثناء كلامنا

السابق وبقي نوعان وهما:

**(أ) التفكير في عظمة الخالق:**

وذلك بالتفكر في مخلوقات الله الكثيرة المتنوعة والتي أودع فيها سبحانه حكماً باهرة يزيد إيمان المرء وتعظيمه لربه بالاطلاع عليها، وقد من الله علينا في هذه الآونة بتيسير كبير للاطلاع والنظر والتفكير خاصة مع انتشار الكتب والأبحاث العلمية والأقراص المضغوطة (C.D) والتي تطلع المرء على عجائب قدرة الله وبديع صنعه في خلقه.

**(ب) التفكير في نعم الله:**

مع مقارنة ذلك بمعصية العبد وتقصيره، فيتولد الحياء من الله الذي هو باعث كل خير.

قال محمد بن الفضيل: «الحياء يتولد من النظر إلى إحسان المحسن ثم من النظر إلى جفائك إلى المحسن، فإذا كنت كذلك رزقت الحياء إن شاء الله».

وقال الجنيد: «الحياء رؤية الآلاء ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تُسمى الحياء، وحقيقته خلقٌ يبعث على ترك القبائح ويمنع من التفريط في حق صاحب الحق».

قلتُ: ويتولد الحياء من استقصاء المرء لنعم الله عليه وأعظمها الإسلام، مع كثرة تفكره في سيئاته وأخطائه.

ويستفيد المرء من كثرة تفكره في نعم الله كذلك تولد محبة الله في قلبه، فقد قالوا: «المحبة تنمو على حافات المنن».



## الفضل الثاني

## وظائف يوم الجمعة

وهو أفضل أيام الأسبوع على الإطلاق، ويستحب فيه التفرغ للعبادة، وسيكون الكلام عن وظائفه مشتملاً - إن شاء الله - على بحثين:

(أ) أحاديث في فضائله.

(ب) أحاديث فيما يشرع فيه، وما لا يشرع.

## أولاً - أحاديث في فضائله:

١ - قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة: فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها» (رواه مسلم).

٢ - وقال أيضاً: «لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه (كالفازلين أو أي شيء يثبت الشعر)، ويمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين (أي: يقيمها ويجلس بينهما)، ثم يصلي ما كتب له (أي: يصلي ركعات مطلقة يوم الجمعة)، ثم ينصت إذا تكلم الإمام (أي: يستمع إلى الإمام ويتدبر في خطبته)، إلا غفر الله له ما بينه وبين الجمعة الأخرى» (رواه البخاري)، وفي رواية: «ولبس من أحسن ثيابه»، وفي رواية: «الجمعة كفارة لما بينها وبين الجمعة التي تليها، وزيادة ثلاثة أيام» (رواه الطبراني وصححه الألباني).

قلتُ: فیدل هذا الحديث على أن كفارة ذنوب العشرة أيام مشرطة بتحقيق هذه

الأعمال مجتمعة.

٣- وقال أيضاً: «مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ، وَبَكَرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ، وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ؛ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلٌ سَنَةِ أَجْرٍ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا» (رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وصححه الألباني).

قلتُ: وفيه أنه يشترط لهذا الثواب العظيم تحقق هذه الشروط مجتمعة، فقوله: «غَسَّلَ»، أي: بالغ في الغسل سواء لرأسه أو لبدنه، وقيل: أي أوجب على أهله الغسل بالجماع قبل صلاة الجمعة؛ لثلا يرى في طريقه إلى الصلاة، ما قد يفتنه، «بَكَرَ» أي: بالغ في التبكير، «مشى ولم يركب» أي: كان سيره كله إلى المسجد مشياً دون أن يركب، فمن مشى وركب لم ينل هذا الفضل.

تنبيهه: المقصود الأعظم من صلاة الجمعة هو الاستفادة وزيادة الإيثار باستماع الخطبة، فمن كان مخيراً بين الصلاة في مسجد يستفيد منه ويركب إليه، وبين مسجد يمشي إليه، ولكن لا يستفيد فليصل في المسجد الأنفع، ولو ركب، فالاستفادة المقصودة لذاتها، أولى من وصف عدم الركوب، وحسبه أن يعمل ما يكفر به سيئات أسبوع وثلاثة أيام، وقد ذكرنا في الحديث السابق، ما يشترط لتلك المغفرة، وليس فيها ترك الركوب.

٤- وقال أيضاً: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر» (رواه مسلم).

٥- ومشى عباية رَحِمَهُ اللهُ (أحد التابعين) إلى المسجد يوم الجمعة، فلحقه أبو عبس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (صحابي)، وقال له: أبشر فإن خطاك في سبيل الله، وقد سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار» (رواه الترمذي وصححه الألباني).

٦- وقال أيضاً: «إن يوم الجمعة سيد الأيام، وأعظمها عند الله، وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر» (رواه أحمد وابن ماجه، وحسنه الألباني).

٧- وقال أيضاً: «تقعد الملائكة يوم الجمعة على أبواب المساجد معهم الصحف يكتبون الناس، فإذا خرج الإمام طويت الصحف» (رواه أحمد والطبراني، وحسنه الألباني).  
قلت: فكأن من حضر بعد صعود الإمام المنبر، لم يكتب في صحف الملائكة، وإن كان يكتب له ثواب الجمعة.

٨- وقال أيضاً: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح في الساعة الأولى، فكأنها قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية، فكأنها قرب بقرة، ومن راح الساعة الثالثة، فكأنها قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة، فكأنها قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة، فكأنها قرب بيضة» (متفق عليه).

قلت: وهذه الساعات تبدأ من بعد شروق الشمس إلى صلاة الجمعة، وقيل: من بعد طلوع الفجر، وقيل غير ذلك.

وقال أيضاً عن ساعات يوم الجمعة: «فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه» - وأشار بيده يقللها - (رواه البخاري ومسلم)، وفي رواية: «هي آخر ساعة بعد العصر»، قلت: قوله: «قائم» أي: مقيم، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ (الْعَنْكَبُوتُ: ٧٥). أي: مقيماً على مطالبته، وأما قوله: «يصلي»، فمعناه: يدعو، فهذا الوقت لا صلاة فيه، وأما ما يفعله البعض من القيام للدعاء يوم الجمعة قبل المغرب، سواء في البيت أو المسجد فلا دليل عليه من سنة أو قول أو فعل صاحب ونخشى أن يكون بدعة، - نعم - من فعله مقلداً أو متأولاً لم يكن مبتدعاً، ولكن ليست هذه السنة، ولو كانت لوردت عن الصحابة أو التابعين خاصة مع توافر همهم على فعل الخير، ونقل السنن.

تنبيهه: قوله في الحديث: «وهو قائم يصلي»، يدل على استحباب كون الدعاء في هذه الساعة في المسجد؛ فقد روى هذا الحديث عبد الله بن سلام لأبي هريرة، فقال أبو هريرة له: «لا صلاة بعد العصر»، فأخبره عبد الله بن سلام بأن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أخبر بأن العبد في صلاة ما انتظر الصلاة، فكأن ابن سلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فهم استحباب كون هذا الدعاء في المسجد، وذلك بأن يمكث الداعي في المسجد آخر ساعة قبل المغرب، ويظل فيه حتى صلاة المغرب، وهذا هو الأكمل والأرجى للإجابة، ولكن من دعا في بيته، فإنه يستجاب له أيضًا لعموم الأحاديث الأخرى التي ذكرت فيها ساعة الإجابة دون التقييد بالصلاة، وعليه فذكر انتظار الصلاة في بعض الأحاديث ذكر لبعض أفراد العموم، وليس تخصيصًا.

وقد اختلف العلماء في هذه الساعة ما هو مقدارها خاصة لرواية: «يقللها»، فهل الساعة المذكورة هي الساعة عند العرب، وهي الوقت بغض النظر عن مقداره أم الساعة بمقياس الناس اليوم؟، والظاهر أن نقول لفظ: «الساعة»، كبقية الألفاظ التي تكلم بها الشرع، فيحمل على معناه الشرعي، فإن لم يوجد حمل على معناه اللغوي، وقد ورد في الحديث: «يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة» (رواه أبو داود والنسائي وصححه الألباني)، فدل، على أن لفظ الساعة له مفهوم شرعي، فيحمل عليه، فيكون مقدار هذه الساعة هو (١٢/١) من الزمن ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ويختلف هذا باختلاف الفصول، ولكن يبقى السؤال.. هل الدعاء مستجاب في هذه الساعة كلها، أم في وقت يسير منها؟، والظاهر من إخبار الشرع بقلتها أنها جزء يسير من هذه الساعة، فعلى طالبها أن يدعو في الساعة كلها لينالها، ويدل لقوله رواية: «هي ساعة أو بعض ساعة».

(رواها ابن ماجه وصححه الألباني)

قلتُ: وهكذا عادة الشرع في الأعمال الفاضلة، حيث يجبر بزمناها، ولكن دون تحديد كامل ليبقى مسرح الاجتهاد كما جعل ليلة القدر تنتقل في العشر الأواخر ليجتهد الناس في الليالي كلها.

تنبيهه: روى مسلم عن أبي بريدة بن أبي موسى الأشعري: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في ساعة الجمعة: «هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة»، ولكن قد ضعف هذا الحديث الكثير من العلماء، ولو ثبت فلا ينافي كون الساعة بعد العصر، أي: أنه يستجاب الدعاء بعد العصر وأثناء خطبة الإمام معاً، هكذا رجح ابن القيم - والله أعلم -.

### ثانياً - ما يشرع فيه وما لا يشرع:

#### ( أ ) ما لا يشرع فيه:

١ - التأخر عن حضورها: ففي الحديث: «احضروا الجمعة وادنوا من الإمام، فإن الرجل ليكون من أهل الجنة فيتأخر عن الجمعة فيؤخر عن الجنة، وإنه لمن أهلها».

(رواه الطبراني وحسنه الألباني)

وشر من ذلك: ترك حضورها بالكلية، ففي الحديث: «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات: أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين» (رواه مسلم).

٢ - تخطي رقاب الجالسين في المسجد يوم الجمعة: ففي الحديث: «جاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة»، فقال له رسول الله ﷺ: «اجلس فقد آذيت وآنيت (أي تأخرت)» (رواه أبو داود والنسائي، وصححه الألباني).

قلتُ: وقد استثنى الفقهاء من هذا الحكم، ما لو وجد المصلي فرجة في مقدمة المجلس، والناس لا يشغلونها، فإنه يجوز له أن يتقدم إليها، ولو تخطى الناس، ولكن عليه أن يمشي إليها دون أن يؤذي أحداً، ودون أن يرفع رجله قدر المستطاع.

٣- الكلام أثناء خطبة الإمام: ففي الحديث: «إذا تكلمت يوم الجمعة والإمام يخطب، فقد لغوت وألغيت» (رواه ابن خزيمة وصححه الألباني).

قلت: ولا يدخل في هذا الكلام أثناء جلوس الإمام على المنبر (سواء قبل الخطبة أو بعد الخطبة الأولى)، ولا أثناء دعائه، وإن كان الأولى ترك الكلام؛ لثلاثي شوش على الناس، خاصة أثناء دعاء الإمام.

٤- تخصيص يومها بصيام أو ليلتها بقيام: ففي الحديث: «لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام، إلا أن يكون صومًا يصومه أحدكم» (رواه مسلم).

قلت: كمن يصوم يومًا ويومًا، فوافق صيامه يوم الجمعة، فيجوز له صيام يوم الجمعة منفردًا، وكذا لو وافق يومًا يصومه المرء لفضيلة اليوم، كيوم عاشوراء، أو يوم عرفة.

### (ب) ما يشرع فيه:

١- الاستعداد لصلاة الجمعة: بما ذكر في الأحاديث: فقرب الناس ومنازلهم يوم الجمعة في الجنة على قدر قربهم من الإمام وتبكيرهم يوم الجمعة في الدنيا، كما صح بذلك الحديث.

٢- صومه مع يوم الخميس أو مع يوم السبت: ففي الحديث: «وكان رسول الله ﷺ، قلما يفطر يوم الجمعة» (رواه الترمذي وصححه الألباني)، وفي الحديث: «خمس من عملهن كتب الله من أهل الجنة: من عاد مريضًا وصام يومًا، وشهد جنازة، وراح إلى الجمعة، وأعتق رقبة» (رواه ابن حبان، وحسنه الألباني).

قلتُ: وقد انعدمت الرقاب الآن، ولكن قد يجزئ - إن شاء الله - قول العبد: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»، فقد ورد في الحديث: أن ثوابها كعتق رقبة (رواه أبو داود، وصححه الألباني)، وعليه فيشرع الصيام وتشرع هذه الأعمال يوم الجمعة.

### ٣- التفرغ للعبادة فيه: خاصة لمن شغل طيلة الأسبوع بعمل.

وقد قال ابن القيم: «من صحت له جمعته صح له أسبوعه، ومن صح له رمضان صح له عامه، ومن صحت له حجته صح له عمره كله».

قلتُ: ومن أنفع ما يكون يوم الجمعة الدعاء في ساعة الاستجابة، والإكثار من التنفل المطلق قبل صلاة الجمعة، فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يخرجون إلى المسجد يوم الجمعة مبكرًا، ويصلون حتى يخرج رسول الله ﷺ للخطبة.

إخواني.. كم قصرتم أثناء الأسبوع؟.. وكم فات من قيام وخشوع؟.. فالزموا النوافل يوم الجمعة.. واحذروا الرياء والسمعة<sup>(١)</sup>.. عوّضوا ما فات من قرآن.. والزموا في الساعة أدعية العدنان<sup>(٢)</sup>.. دعاء يوم الجمعة نور.. وكم وجد العارفون فيه السرور.. بشرط اليقين في الغفور<sup>(٣)</sup>.. واليأس من النفس.. فلن يوفق مغرور<sup>(٤)</sup>.

(١) أعني: أنه يشرع التنفل في المسجد يوم الجمعة قبل خروج الإمام، فعلى المصلي أن يراقب قلبه، فربما رآه بصلاته أمام الناس.

(٢) أعني: أنه يستحب الدعاء في ساعة الإجابة يوم الجمعة، وخير الأدعية أدعية العدنان ﷺ، ففيها خير وبركة، ولها آثار عظيمة في تنوير القلب، وإبهاج النفس، ومن أدمنها عرف ما أقول وقد جمع الشيخ أحمد حطية أدعية رسولنا، واستعاذاته في كتاب الدعوات الطيبات، فعلى العبد أن يحرص عليها.

(٣) أعني: أن الدعاء لا ينفع الداعي، إلا لو أيقن في الله ووثق فيه أن يقبل دعاءه، فيدعو بقوة قلب ويقين.

(٤) أعني: أن الدعاء لا ينفع الداعي، كذلك إلا إذا أيقن أنه لن يستطيع أي خير إلا بالله لا بنفسه، فإذا به يتضرع ويلج على الله في دعائه.

٤- كذلك يشرع فيه الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ : ففي الحديث: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النضخة، وفيه الصعقة، فأكثرُوا عليَّ من الصلاة؛ فإن صلاتكم معروضة عليَّ»، قالوا: يا رسول الله.. كيف تعرض عليك وقد أُرمت؟، فقال: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» (رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه، وصححه الألباني)، وتتأكد كذلك الصلاة على رسولنا ﷺ أثناء الدعاء، وفي آخره وفي أوله، فالدعاء موقوف في السماء حتى يصلي الداعي على رسولنا ﷺ.

### فائدة:

يستحب عمومًا الإكثار من الصلاة على رسول الله ﷺ لعظيم فضلها، ولكن يزداد الاستحباب يوم الجمعة، فمن المناسب ها هنا أن نورد بعض الأحاديث في فضل الصلاة على رسول الله ﷺ:

✽ قال رسول الله ﷺ: «خطئ طريق الجنة من ذكرت عنده فلم يصل عليَّ» (رواه ابن ماجه، وصححه الألباني).

✽ وقال أيضًا: «من صلى عليَّ صلاة واحدة، صلى الله عليه عشر صلوات، وحطت عنه عشر خطيئات، ورفعت له عشر درجات» (رواه النسائي، وصححه الألباني).

✽ وقال رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ: رأيت إن جعلت لك صلاتي كلها بالليل؟ فقال رسول الله ﷺ: «إذا تكفى همُّك، ويغفر لك ذنبك». (رواه أحمد والترمذي والحاكم، وحسنه الألباني)

✽ وقال ﷺ: «ما من مسلم يصلي عليَّ إلا صلت عليه الملائكة ما صلى عليَّ، فليقلِّ العبد من ذلك أو ليكثر» (رواه ابن ماجه، وحسنه الألباني).

❖ وقال أيضاً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم صلاة عليّ». (صححه الألباني في صحيح الجامع)

❖ وقال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء، حتى تصلي على نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (رواه الترمذي، وحسنه الألباني موقوفاً على عمر).

❖ وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما جلس قومٌ مجلساً لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم» (رواه الترمذي وصححه الألباني)، وقوله: «ترّة» أي: حسرة وندامة، وقد استدل به بعض العلماء على وجوب الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل مجلس تجلسه الجماعة.

٥- وكذلك يشرع قراءة سورة الكهف سواء في ليلة الجمعة (بعد غروب الشمس يوم الخميس)، أو في نهارها (أي: من طلوع الفجر إلى غروب شمس يوم الجمعة)، ففي الحديث: «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين» (رواه البيهقي وصححه الألباني)، وفي رواية: «ليلة الجمعة» (وهي أيضاً صحيحة).

٦- وكذلك يشرع قراءة سورة السجدة والإنسان في فجر يوم الجمعة، كما صح بذلك الحديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويستحب المداومة على ذلك كل جمعة، إلا لو خشي الإمام من مداومته أن يظنّ لزوم ذلك، فعليه أن يترك قراءتها في بعض الجمعات؛ ليعلم الناس عدم لزوم ذلك، وليس المقصود من هذه السور السجود في فجر الجمعة، بل المقصود تذكير المؤمن بالقيامة وأهوالها، وبدء خلقة الإنسان، فقد خلق آدم يوم الجمعة، وفيه تقوم الساعة، وفي الحديث: «ما من صلاة أفضل عند الله من صلاة الفجر يوم الجمعة» (صححه الألباني في «صحيح الجامع»)، وفي آخر: «وما من ملك مقرب، ولا سماء، ولا أرض، ولا رياح، ولا جبال، ولا بحر إلا وهنّ يشفقن من يوم الجمعة». (رواه أحمد وابن ماجه، وحسنه الألباني)

قلتُ: لكونه اليوم الذي تقوم فيه الساعة، وأمّا الإنس والجن، ففي غفلة إلا من رحم الله منهم.

❦ لا يسن في فجر الجمعة قراءة سور فيها سجدة غير سورة السجدة، كما ظن بعض العوام، فالمقصود كما قدمنا تذكير المؤمن بمعاني سورة السجدة، لا السجدة نفسها.  
 إخواني.. أشفق الكون كله وأنتم غافلون.. وتعبدوا وأطاعوا وأنتم المتكاسلون..  
 عجباً لكم.. لو كنتم تعلمون.. أفي يوم الجمعة تلهون!! وعن ذكر القيامة تحيدون!!



## الفصل الثالث وظائف أيام الأسبوع الأخرى

### أولاً - يومي السبت والأحد :

وهما يوما اليهود والنصارى، فلا يجوز لمسلم أن يجعل يوم تفرغه (إجازته) من عمله أو محله في أحدهما، حتى ولو كان لا يقصد التشبه بهما، أو كان لا يعرف أن اليهود والنصارى لا يعملون في هذين اليومين؛ لأن ترك العمل في هذين اليومين من سمات اليهود والنصارى الخاصة بهم في دينهم، فهم أول من تدين بذلك.

وقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه القيم «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم»: قرر أن التشبه بالكفار فيما هو في الأصل سمة لهم في أمور دينهم، لا يجوز، ولو انتشر بين المسلمين؛ لعموم قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تشبه بقوم فهو منهم»، ولا تشترط في ذلك نية التشبه بل مجرد المشابهة في الظاهر منهي عنها.

ويكره إفراد يوم السبت بصيام؛ لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تصوموا يوم السبت، إلا فيما افترض عليكم» (رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني)، ولا يحرم لحديث: «صيام يوم السبت لا لك ولا عليك» (انظر السلسلة الصحيحة برقم ٢٢٥).

إلا لو كان صومًا قد اعتاده المرء، كأن يصوم يومًا ويومًا، فيقع يومه يوم السبت؛ لعموم قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «صم يومًا وأفطر يومًا» (متفق عليه)، وكذلك لو صامه المرء مع يوم قبله (أي: يصوم الجمعة والسبت)، أو يوم بعده (أي: يصوم السبت والأحد)، فلا يحرم أيضًا؛ لأن رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل على جويرية رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وهي صائمة يوم الجمعة، فقال لها: «أصمت بالأمس؟»، فقالت: لا، فقال: «أتصومين غدًا؟»، فقالت: لا، فقال لها: «فأفطري» (رواه البخاري)، فدل على جواز صوم يوم السبت مع يوم الجمعة ويُقاس عليه لو صامه مع الأحد.

وأما يوم الأحد.. فالظاهر عدم جواز إفراده بالصيام أيضًا، قياسًا على يوم السبت  
بجامع أنه يوم عيد الكفار، فمن لم يتيسر له الصيام، إلا في أحدهما لظروف عمل أو  
ظروف ما، فلا يصم لعموم النهي، فإن وقع يوم عرفة أو يوم عاشوراء يوم السبت أو  
يوم الأحد، جاز إفرادهما وإن كان الأولى صوم يومٍ معهما قبلهما أو بعدهما.

فإن صام المرء السبت والأحد معًا، بنية مخالفة المشركين احتمال أن يكون مشروعًا،  
ففي الحديث: كان أكثر ما يصوم النبي ﷺ من الأيام يوم السبت ويوم الأحد،  
وكان يقول: «إنهما يومًا عيد المشركين، وأنا أريد أن أخالفهم» (رواه ابن خزيمة).

وقلتُ: «احتمل» لأنَّ الألباني رَحِمَهُ اللهُ ضعفه قبل وفاته كما في كتاب «تراجع  
الإمام الألباني» بعد أن كان قد حسَّنه.

### ثانيًا - يومي الاثنين والخميس:

ويستحب صومهما استحبابًا مؤكدًا مداومة الرسول ﷺ على ذلك،  
ففي الحديث: كان رسول الله ﷺ يتحرى صوم الاثنين والخميس.  
(رواه النسائي وابن ماجه، وصححه الألباني)

❁ وفيهما تعرض الأعمال على الله، ففي الحديث: كان رسول الله ﷺ  
يصوم الاثنين والخميس، فسئل عن ذلك، فقال: «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس،  
فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم» (رواه الترمذي وصححه الألباني).

❁ ويغفر فيها لكل مسلم إلا للمتخاصمين، ففي الحديث: «تعرض الأعمال في  
كل اثنين وخميس، فيغفر الله عزَّوَجَلَّ لكل من لا يشرك بالله شيئًا، إلا امرأ كانت بينه وبين  
أخيه شحنة، فيقول: اتركوا هذين حتى يصطلحا» (رواه مسلم).

إخواني.. تعرض أعمالكم في هذين اليومين على ربكم.. فيا ليت شعري من قبل ومن لم يقبل.. انووا الخير من يومكم هذا.. عسى أن يعلو أمركم ولا يسفل.

إخواني.. أصلحوا أعمالكم في هذين اليومين.. عسى أن يغفر الله ما بينهما، فملوك الدنيا إذا تفقدوا أحوال الرعية في يوم، فكانت على ما يرام، ساءحوا فيما مضى ولو علموا فساد، طالما كانت نية التغيير موجودة، فأملوا في ربكم خيرًا.

### فائدة:

عبادة الصيام من أجل العبادات وأنفعها لقلب المؤمن ففي الحديث: «عليك بالصوم؛ فإنه لا مثل له» (انظر صحيح الجامع).

وفي آخر: «الصيام جنة وهو حصن من حصون المؤمن». (رواه الطبراني وحسنه الألباني)

وقال بعض السلف: «الصيام معقل من معاقل العابدين» إلا أنه ينبغي للمؤمن أن يعلم حقيقة الصوم وهي الامتناع عن كل ما يبعد العبد عن ربه، وليس مجرد الامتناع عن الطعام والشراب.

ولذا قال ميمون بن مهران: «إن أهون الصوم ترك الطعام والشراب»، ولذا ينبغي للمؤمن إذا كان يوم صيامه جلس مع نفسه من أول اليوم، ويا حبذا لو كان ذلك في جلسة الشروق، وعظها بحسن أداء صيام هذا اليوم بترك كل ما نهى عنه الشرع بما فيه المكروهات، وإتيان كل ما أمر به بما فيه المستحبات.

وقد قال بعض السلف: «لا يكن يوم صوم أحدكم ويوم فطره سواء»، فمن دام على ذلك وأكثر من الصيام، تعودت نفسه على الالتزام والانضباط بالأحكام الشرعية والآداب كل يوم.

### ثالثاً - يوم الثلاثاء والأربعاء:

وقد رويت في فضل صيام يوم الأربعاء أحاديث لم يصح منها شيء عن رسولنا ﷺ: ولم يجيء في فضل يوم الثلاثاء شيء، ولكن ورد فيها أحاديث خاصة بالحجامة، ففي الحديث: «احتجموا على بركة الله يوم الخميس، واجتنبوا الحجامة يوم الأربعاء والجمعة والسبت والأحد تحريماً، واحتجموا يوم الاثنين والثلاثاء، فإنه (أي: الثلاثاء) اليوم الذي عافى الله فيه أيوب وضربه بالبلاء يوم الأربعاء، فإنه لا يبذو جذام، ولا برص، إلا يوم الأربعاء» (رواه ابن ماجه وحسنه الألباني بالشواهد).

وكون يوم الثلاثاء يوم الشفاء، لا إشكال فيه، وإنما الإشكال في جعل يوم الأربعاء يوم البلاء، خاصة مع ما قاله البعض في تفسير قوله تعالى عن عاد: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ (القنقن: ١٩)، قال: هو يوم الأربعاء، استمر نحسه إلى يوم القيامة، ووجه الإشكال أن التطير والتشاؤم بالأيام وغيرها لا يجوز، وقوله هذا قد يكون فيه متمسك لمن تشاءم بيوم الأربعاء.

والجواب أن قصارى ما يؤخذ من الحديث إذا قلنا بصحته، لزوم الاحتياط بترك أسباب البلاء يوم الأربعاء وليلته أكثر من بقية الأيام، فالشرع قد حث على ترك أسباب البلاء عموماً، ولكن يلزم الاحتياط أكثر في يوم الأربعاء وليلته.

وأما عن الآية.. فالقول الصحيح في تفسيرها هو استمرار أيام البلاء، لا استمرار النحس، فقد قال العنبري في آية أخرى: ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ (الحاقة: ٧)، فالذي استمر هو البلاء وأيامه، حتى اكتملت الأيام ثمانية - لا - أن نحس هذا اليوم استمر إلى يوم القيامة، بدليل أن يوم الأربعاء هو يوم نصر الله للمؤمنين مع نبي الله هود، كما أنه يوم إهلاك قوم عاد، ولو سلمنا بأن الذي استمر هو نحس يوم الأربعاء، فالمقصود هو استمرار نحس هذا اليوم على قوم عاد إلى يوم القيامة، فهم يعذبون في حياة البرزخ كل يوم، ولكن يزداد في عذابهم يوم الأربعاء، ويحمل القول المذكور عن بعض

السلف على هذا المعنى، وأما جعل يوم الأربعاء يوم نحس وتشاؤم مطلقاً، فلا يصح لمخالفته للسنة الصحيحة، وعدم الدليل عليه.

### تنبيهان:

١ - صحح الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ فِي «صحيح الجامع» حديث: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصوم من الشهر السبت والأحد والاثنين، ومن الشهر الآخر الثلاثاء والأربعاء والخميس» ولكن ضعّفه قبل وفاته كما نقل عنه في كتاب (تراجع الإمام الألباني للشيخ محمد بن عبد الحميد).

٢ - عن جابر أنّه قال: «دخل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسجد الفتح فدعا يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء فاستجيب له يوم الأربعاء، فكنّت إذا نزل بي أمرًا قاتظ تحريّت الدعاء في هذه الساعة فأرى الإجابة» (حسنه الألباني وقال: «لا يقال هذا من قبل الرأي، فله حكم الرفع»).

والراجع - بفرض تحسين الحديث - عدم مشروعية ذلك، فهذا ممّا يدخله الاجتهاد والرأي، وليس له حكم الرفع، ولم يرد ذلك عن كبار الصحابة ممّن هم أعلم وأفضل من جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كالخلفاء الأربعة، فإجابة الدعاء إنّما وقعت اتفاقاً في هذا اليوم، وربما كان يُستجاب لجابر إذا دعا في هذا اليوم لإتيانه بأسباب إجابة الدعاء، وليس لمشروعية تخصيص يوم الأربعاء، خاصة وأنّ يومي الاثنين والخميس ترفع الأعمال فيهما إلى الله، وليس كذلك يوم الأربعاء، فهما أولى بتخصيصهما بذلك - ولم يرد - فضلاً عن أنّ يوم الجمعة قد خصّ بساعة إجابة، ولو كان يوم الأربعاء كذلك لما كان يوم الجمعة أرجح من يوم الأربعاء لإجابة الدعاء، وهذا خلاف إجماع المسلمين، ثمّ إنّ لم يرد أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسه تحرّى الدعاء يوم الأربعاء قطّ مع أنه هو الذي استجيب له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الأربعاء، ولا ورد عنه أنّه حث أصحابه على ذلك.

## الْفَيْضُ الرَّابِعُ

## وظائف يوم عاشوراء

وهو يوم نصر الله لنبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإغراق فرعون وجنوده.

إخواني.. لا تياسوا فبشائر نصر الله للمؤمنين في هذا اليوم تزيل ضباب الاضطهاد والظلم.. كان فرعون يذبح ذكور المؤمنين، ويستحيي النساء، فهل بلغ اضطهادكم عشر هذا؟!، أشد ساعات الليل ظلمة، هي التي يليها الفجر مباشرة.. وها هو ليل الكفر يزداد ظلمة، فإذا كملت الظلمة، ولم يبق بصيص نور.. فانظروا الفجر.. فجر التمكين آت لا محالة.. ولظلام الكفر الإزالة.. ألا إن نصر الله قريب.. فاصبروا لحبس أي حبيب.. سيهلك ربكم الظالمين.. ويعلي سلطان الموحدين.. فالعاقبة للمتقين.. الكفر ضعف وهوان.. والتوحيد عز وتمكين.. وربكم القوي المتين.. الظلم بمرأى منه ومسمع، ولكنه يمهل.. ألم يقل «إن كيدي متين».

إخواني.. صوموا هذا اليوم شكراً لتمكين من سبق.. عسى ربكم أن يمكن من لحق.. وأبشروا والله خيراً.. فلن يمكن الرب عبداً له أبق (أي: الكافر؛ فالعبد الأبق هو العاصي لمولاه).. ألم يقل: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ (النساء: ١٤١).. فاستعينوا به.. وكفى به ولياً ونصيراً.

إخواني.. ليكن هدفكم القيام بالعبودية لله، ففي وقت الضعف عبودية، وفي وقت التمكين عبودية، فمن أدى عبودية وقت الضعف استحق التمكين، ومن لا فلا.. فابذلوا الجهد، ولا تتعجلوا الثمرات.. وحسبكم أن تضعوا في البناء لبنة من اللبنة.. مات مصعب ولم ير التمكين.. فهل لامة رب السموات والأرضين؟!.. فيايكم واليأس.. فهو أعظم المثبطات.. واحذروا العجلة.. فربَّ عجلة ساعة أخرتكم سنوات.. ما أحوج

دولة الإسلام لعلماء مبصرين.. فعجباً لجهال يطلبون التمكين.. فقوموا بطاعة الوقت، وسيدبر الرب لكم.. إن الله لا يهدي القوم الظالمين.

### أحاديث تفيده أن النصر والتمكين للمتقين ولو بعد حين:

١- قال رسول الله ﷺ: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر، إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز، أو بذل ذليل عزاً يعزبه الإسلام، وذلاً يذل به الكفر» (رواه ابن حبان، وصححه الألباني).

٢- وقال أيضاً: «لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزى»، فقالت عائشة: يا رسول الله.. إن كنت أظنّ حين أنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التَّوْبَةُ: ٣٣)، أن ذلك تاماً، قال: «إنه سيكون ذلك ما شاء الله» (رواه مسلم).

قلت: وفيه أنّ دين الأرض كلها، سيكون الإسلام في زمنٍ ما قادمٍ - إن شاء الله تعالى -.

٣- وقال أيضاً: «إن الله زوى (أي: ضم وجمع) لي الأرض، فرأيت مشارقتها ومغاريها، وإن أمتي سيبليغ ملكها ما زوي لي منها» (رواه مسلم).

٤- وقال أيضاً: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله، إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون (قلتُ: وهي فترة الخلفاء الراشدين)، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاصماً ما شاء الله أن يكون (أي: ملكاً يطلبه الناس ويعضون عليه)، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً، فتكون ما شاء الله أن تكون (وهو أن يجبر الناس على حاكمهم وهو عصرنا)، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت». (رواه أحمد وصححه الألباني)

قلتُ: فنحن في انتظار منهاج النبوة.

٥ - وسئل رسول الله ﷺ: «أي المدينتين تفتح أولاً: أقسطنطينية أو رومية؟»، فقال: «مدينة هرقل أولاً»، يعني: قسطنطينية (رواه أحمد وصححه الألباني).

قلتُ: وقد تحقق ذلك على يد محمد الفاتح، ونحن في انتظار فتح روما عاصمة إيطاليا الآن.

٦ - وقال ﷺ: «عصابتان أحرزهما الله من النار: عصابة تغزوا الهند، وعصابة تكون مع عيسى بن مريم»، وقال أيضاً: «طوبى لعيش بعد المسيح يؤذن للسماء في القطر ويؤذن للأرض في النبات حتى لو بذرت حبك على الصفا نبت» (صححهما الألباني في «صحيح الجامع»)، وقال ﷺ عن المهدي المنتظر: «يصلحه الله في ليلة»، وقال أيضاً: «يملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يملك سبع سنين» (وقد صححهما أيضاً الألباني رحمه الله).

### تنبيهان:

١ - اختلف العلماء في حكم التوسعة على العيال في يوم عاشوراء، فالبعض رأى مشروعيته لحديث: «من أوسع على عياله وأهله يوم عاشوراء أوسع الله عليه سائر سنته» (رواه البيهقي مرفوعاً وعن جماعة من الصحابة)، وقال: هذه الأسانيد وإن كانت ضعيفة فهي إذا ضمَّ بعضها إلى بعض أخذت قوة.

وقال سفيان بن عيينة: «جربناه منذ خمسين سنة فما وجدنا إلا خيراً». وروي عن عمر بن الخطاب ولكن في سنده مجهول. والبعض رأى عدم مشروعيته لضعف الحديث فقد ضعفه الألباني في ضعيف الجامع، ومشكاة المصابيح، وهذا هو الراجح ولكن في المسألة خلافٌ سائغ لا يُبدع فيها المخالف.

٢- صحَّ عن النبي ﷺ أنَّ عاشوراء يكفر ذنوب سنة، وهو يوم العاشر من محرم - خلافاً لما قد ظنَّه بعض المتقدمين من أنَّه اليوم التاسع - لحديث: «عاشوراء يوم العاشر» (صححه الألباني في «صحيح الجامع»)، ويُستحب صيام التاسع معه لمخالفة اليهود؛ لأنَّ الرسول ﷺ لما أُخبر أنَّ اليهود يصومون العاشر، فقال: «لئن بقيتُ إلى قابلٍ لأصومنَّ التاسع» (رواه مسلم)، أي: مع العاشر. فالذي ينبغي صيام هذين اليومين مع الإكثار - والله أعلم - في يوم العاشر من الاستغفار وتجديد العزم على التوبة والندم على ما كان من سالف الخطايا، فهو يوم مغفرةٍ من الله وعفوٍ، والله المستعان.



## الْفَضْلُ الْجَامِعُ وظائف أيام العيدين

١ - اختلف العلماء متى يبدأ التكبير المخصوص في عيد الفطر، فقيل: ليلة العيد، فيكبر المسلمون بعد المغرب وبعد العشاء ليلة العيد وبعد فجر يوم العيد، لقوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتَكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٥)، ففهم منها بعض العلماء أن التكبير يشرع بعد إكمال عدة شهر رمضان، وقال فريق آخر: لا يشرع إلا بعد الفجر؛ لأنه لم يرد عن رسول الله ﷺ أنه كبر بعد مغرب، أو بعد عشاء ليلة العيد، ولو فعل لنقل إلينا، والواو في الآية لا تقتضي ترتيماً، فلا دليل على أن التكبير يكون فور انتهاء العدة، وهذا هو الراجح، ولكن في المسألة خلاف سائغ.

٢ - يشرع التكبير المخصوص في أيام عيد الأضحى ويبدأ من فجر يوم عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق، وقد صحت بصيغته عدة روايات عن صحابة رسول الله ﷺ، فقد ثبت بإسناد صحيح عن ابن مسعود أنه كان يكبر، فيقول: «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر، والله الحمد»، وثبت عنه أيضاً أنه كان يقول: «الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر والله الحمد»، فالظاهر مشروعية الصيغتين وعن سلمان بسند صحيح: أنه كان يكبر، فيقول: «الله أكبر الله أكبر كبيراً»، والصيغ الواردة كلها إنما ثبتت عن صحابة رسول الله ﷺ، ولم يصح فيها عن رسول الله ﷺ شيء، ولذلك نص علماء على صيغ أخرى للتكبير، والأمر واسع - إن شاء الله - بل نص كثير من العلماء المعاصرين على عدم بدعية ما يفعله العوام من الصلاة على النبي ﷺ، وأزواجه وآله بعد التكبير، وإن كان الأولى ترك ذلك لعدم وروده عن صحابة رسول الله ﷺ، ولكن لا يُقال ببدعية ذلك.

## التكبير المشروع قسمان:

### (أ) تكبير مطلق:

ويبدأ من أول أيام العشر، فيشرع للمسلمين أن يكبروا الله، ويذكروه في الأسواق والطرق في هذه الأيام، في كل وقت دون تخصيص لوقت دون وقت، وكان ابن عمر وأبو هريرة يخرجان إلى الأسواق في هذه الأيام، فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما.

### (ب) تكبير مخصوص:

وهو ما يشرع بعد صلاة الفريضة فقط دون النافلة من فجر عيد الفطر إلى صلاة عيد الفطر، فلا تكبير بعدها، ومن فجر يوم عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق. قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِ «لَطَائِفِ الْمَعَارِفِ»: «كُلُّ مَا فِي الدُّنْيَا يَذْكَرُ بِالْآخِرَةِ، فَمَوَاسِمُهَا وَأَعْيَادُهَا وَأَفْرَاحُهَا تَذْكَرُ بِمَوَاسِمِ الْآخِرَةِ وَأَعْيَادِهَا وَأَفْرَاحِهَا».

صنع عبد الواحد بن زيد طعامًا لإخوانه فقام عتبة الغلام على رؤوس الجماعة يخدمهم وهو صائم فجعل يبكي، فسأله عبد الواحد عن بكائه، فقال: «ذَكَرْتُ مَوَائِدَ الْجَنَّةِ وَالْوِلْدَانَ قَائِمِينَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ. أَعْيَادَ النَّاسِ تَنْقُضِي، فَأَمَّا أَعْيَادُ الْعَارِفِينَ فَدَائِمَةٌ». قال الحسن: «كُلُّ يَوْمٍ لَا تَعْصِي اللهُ فِيهِ فَهُوَ لَكَ عِيدٌ». أَوْقَاتُ الْعَارِفِينَ كُلُّهَا فَرِحٌ وَسُرُورٌ بِمَنَاجَاةِ مَوْلَاهُمْ وَذِكْرِهِ، فَهِيَ أَعْيَادٌ.

قال ذو النون المصري: «مَا طَابَتْ الدُّنْيَا إِلَّا بِذِكْرِهِ، وَلَا الْآخِرَةُ إِلَّا بِعَفْوِهِ، وَلَا الْجَنَّةُ إِلَّا بِرُؤْيَيْتِهِ». مِنْ صَامَ الْيَوْمَ عَنْ شَهْوَاتِهِ أَفْطَرَ عَلَيْهَا غَدًا بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَمَنْ تَعَجَّلَ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ مِنْ لَذَاتِهِ عَوَّقَ بِحَرَمَانٍ نَصِيْبِهِ مِنَ الْجَنَّةِ وَفَوَاتِهِ، شَاهِدَ ذَلِكَ مِنْ شَرَبِ الْخَمْرِ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَشْرِبْهَا فِي الْآخِرَةِ، وَمَنْ لَبَسَ الْحَرِيرَ لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ».

أنت في دار شتاتٍ	فتأهب لشتاتك
واجعل الدنيا كيومٍ	صمته عن شهواتك
وليكن فطرك عند اللد	ه في يوم وفاتك

أيام العيد (خاصةً أيام عيد الأضحى) يجتمع فيها للمؤمنين نعيم أبدانهم بالأكل والشرب ونعيم قلوبهم بالذكر والشكر، وبذلك تتمّ النعم، وكلما أحدثوا شكرًا على النعمة كان شكرهم نعمةً أخرى فيحتاج إلى شكرٍ آخر، ولا ينتهي الشكر أبدًا.

وفي قول النبي ﷺ عن أيام التشريق: «إنها أيام أكلٍ وشربٍ وذكرٍ لله تعالى» إشارة إلى أن الأكل في أيام الأعياد والشرب إنما يستعان به على ذكر الله وطاعته، وذلك من تمام شكر النعمة أن يستعان بها على الطاعات، وقد أمر سبحانه في كتابه بالأكل من الطيبات والشكر له، فمن استعان بنعم الله على معاصيه، فقد كفر نعمة الله وبدّها كفرًا وهو جدير أن يسلبها كما قيل:

إذا كنتَ في نعمةٍ فارعها      فإنّ المعاصي تزيل النعم  
وداوم عليها بشكر الإله      فشكر الإله يزيل النقم

(انتهى كلامه -رحمةُ الله بتصرف)

## فَضْلٌ

في الدروس المستفادة من حجة الوداع:

**أولاً - سياق حجته ﷺ :**

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: ثم دفع رسول الله ﷺ (أي: من عرفه)، وقد شقق للقصواء الزمام حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله ويقول بيده اليمنى: «أيها الناس السكينة السكينة»، ثم أتى مزدلفة، فبات بها حتى أصبح، ثم أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة، فدعا الله وكبره، وهلله ووحده، فلم يزل واقفًا حتى أسفر جدًا، ثم أتى الجمرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها مثل حصى الخذف، ثم انصرف إلى المنحر، فنحر ثلاثًا وستين بيده، ثم أعطى عليًا، فنحر ما غبر ثم أفاض إلى البيت» (رواه مسلم مطولاً)، واقتصرت على بعضه، وفي رواية: فأخذ حصى مثل الخذف، فقال: «يا أيها

الناس بمثل هذه فارموا وإياكم والغلو»، وفي بعض الروايات: فأناه رجل، فقال: لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي، فقال: «إزم ولا حرج»، وأناه آخر، فقال: لم أشعر فطفت قبل أن أنحر، فقال: «طُف ولا حرج»، فما سئل عن شيء قَدَّم أو أُخِّر إلا قال: «لا حرج».

**ما يُستفاد منها:**

١- قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكل من أخطأ: «لا حرج»، وقوله: «نحرت ها هنا ومنى كلها منحر»، يفيد مبدأ التيسير لأهل الأعذار من الناسين وغيرهم، ولكن لا يتضمن التهاون بالشرع أو اختيار الآراء السهلة التي توافق الهوى وإن خالفت الدليل الصحيح. إخواني.. دينكم دين التيسير.. فارفقوا بالناس فبالرفق يزال العسير.

٢- قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الدفع إلى مزدلفة: «السكينة السكينة»: يفيد ضرورة الصبر وعدم التعجل، ولا ينافي هذا قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ (طه: ٨٤)، فالعجلة في الخير مطلوبة طالما كانت لا تؤدي إلى مفاسد أعظم، فتأمل فعل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجة الوداع، كما ورد في سياق حجته: «فكان إذا وجد فجوة نصَّ (أي: أسرع)، فإذا وجد زحاما أمسك بلجام دابته»، وهكذا المؤمن يسرع إذا وجد الفرصة سانحة، ويحجم إذا كان الأمر بخلاف ذلك.

إخواني.. ابذلوا الجهد ولا تتعجلوا الثمرات.. فكم تعجل أناس فأخروا الدعوة سنوات.

٣- قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بمثل هذه فارموا، وإياكم الغلو»: يفيد ضرورة الوسطية في هذا الدين، فالغلو والتشدد يفسدان دين العبد، ففي الحديث: «إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق، فإن المنبت لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى»، وليس المقصود من الرفق اتباع زلات العلماء والمداهنة في الدين، كما قد فهم البعض، بل المقصود اتباع الدين، والأخذ برخصه المشروعة التي تيسر على الناس كالفطر في السفر، وقصر الصلاة،

وكعذر الجاهل والناسي وغيرهما من رخص الشرع، والمقصود كذلك من ترك الغلو..  
التزام المرء بما يطيق من العمل وألا يشدد على نفسه لئلا ينقطع عن العمل.

٤- تكبير رسول الله ﷺ عند رمي الجمار يفيد تنبيه المسلمين في كل مكان وزمان إلى ضرورة تعظيمهم لشرائع الله وحرماته، فأولى ما يهتم به المسلم دينه، وأحق من يرضيه ربه، فالله أكبر من كل شيء، وشرعه أولى من كل منهج وشرع.

ويفيد التكبير كذلك بث الثقة في قلوب المسلمين وقت الاستضعاف، فالله أكبر من كل قوة، فلا يخف المسلمون من قوة عدوهم، فالله معهم، وهو أكبر من كل شيء.

ويفيد التكبير كذلك حث المسلمين على تطبيق شرع الله، فرادى وجماعات، وألا يعبؤوا بتهديد قوى الكفر لهم، أو تخويفهم إياهم، فالله متم نوره، ولو كره الكافرون.

٥- أداء المناسك عموماً من طواف وسعي وذبح وحلق، يؤكد المبدئ العام في الإسلام، وهو الاتباع للشرع، وإن جهل المرء الحكمة من العمل - نعم - قد تظهر بعض الحكم ولكن يخفى الكثير.

٦- دعاء رسولنا في طوافه وسعيه وبمزدلفة يفيد أهمية الدعاء في حياة المسلم، فهو سبب الخير، فالعبد عاجز ضعيف، فعليه أن يدعو ربه ويستعين به في كل شيء، سواء في أمور الدنيا أو الآخرة، ولذا كان دعاء رسول الله ﷺ في كل شوط: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار» (رواه مسلم).

٧- ذبح رسولنا يوم النحر تذكرة لنا باستسلام إبراهيم وابنه إسماعيل لأمر الله، فالذبح رمز لذبح الهوى والنفس الأمارة بالسوء، فمن كان على استعداد تام أن يذبح نفسه وابنه لله لو أمره بذلك، فقد أدى ما عليه، والناس تتفاوت في استجابتها للشرع تفاوتاً عظيماً، فالبعض إذا أمر شرعاً بما يكره فعل راضياً، والبعض يفعل الطاعة مستثقلاً لها، ولكنه يقدم

أمر الله، وهو يأمل أن لو هداه الله، والبعض لا يجد ذلك بل يودّ أن لو كان أمر الله بخلاف ذلك، والبعض يفعل المعاصي وهو غير راضٍ عن نفسه، والبعض يفعلها وهو راضٍ عنها، بل البعض يتفاخر بها، فعلى قدر ما في قلوب العباد يكون ثوابهم أو عقابهم - والله المستعان -.

٨- سعي رسولنا بين الصفا والمروة تذكرة بالحياة، فالمرء يسعى في حياته، والواجب شرعاً أن يكون سعيه لله متوكلاً فيه على الله، كما يسعى بين الصفا والمروة داعياً الله بالقبول والتوفيق والإثابة، وتذكرة كذلك بحقيقة الأمر، وهو أن ما يفوت العبد ويعوزه لا يناله إلا باللجوء إلى الله، وبالاستقامة على طاعته، فها هي هاجر لما فقدت الماء ما نالته إلا بطلبها وتضرعها لربها.

والسعي كذلك تنبيه على أن عاقبة امتثال الطاعة الخير في الدنيا والآخرة، ولو كانت الطاعة شاقة على النفوس، فها هي هاجر لما أطاعت ربها، وتركت بلدها أكرمها الله وولدها أيها إكرام.

٩- دفع الناس من مزدلفة مع رسول الله ﷺ لا قبله ولا بعده، يشير إلى ضرورة التفاف الأمة حول الإمام الصالح، فلا يخالفوه ما لم يأمر بمعصية الله.

١٠- ترك رسول الله ﷺ للمشعر الحرام قبل طلوع الشمس مخالفةً المشركين، تأكيد لأصل من أصول الشرع، وهو مخالفة المشركين، وعدم التشبه بهم، وفي الحديث الصحيح: «من تشبه بقوم فهو منهم».

١١- رمي الشيطان بالجمرات مع عدم رؤيته، إرساء لمبدأ عظيم في الإسلام، وهو أن أخبار الله ورسوله أصدق عند المرء من رؤية عينه، فقد صح عن ابن عباس أنه قال في رمي الجمرات: «فالشيطان ترمون، وملة أبيكم إبراهيم تتبعون» (صححه الألباني في الترغيب والترهيب).

### موعظة:

إخواني.. لا تنسوا في يوم عيدكم من حُبس وظلم.. فليكن فرحكم مشوباً بالحزن..  
 وادعوا ربكم بالثبات.. فإنما العيد لمن ذاق حلاوة الإيمان.. واحذروا السرف في المطعم  
 أو المشرب.. وطوبى لأهل الإحسان.  
 أبيع لكم ذبح البهائم وهي تُسبَّح.. فهل يصح منكم بعد ذا عصيان..  
 إخواني.. هذا عامٌ قد مضى.. فأيكم زاد إيمانه.. أفلح من فعل.. وخاب من كان  
 أمله أمامه.

### فائدة:

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِ «الطائف المعارف»: «الموتى في قبورهم  
 يتحسرون على زيادة في أعمالهم بتسييحه وبركعة، ورؤى بعضهم في المنام فقال: ندمننا  
 على أمرٍ عظيم نعلم ولا نعمل، وأنتم تعملون ولا تعلمون، والله لتسييحه أو تسييحتان،  
 أو ركعة أو ركعتان في صحيفة أحدنا أحب إلينا من الدنيا وما فيها. قال بعض السلف:  
 كلُّ يومٍ يعيش فيه المؤمن غنيمة، وقال بعضهم: بقية عمر المؤمن لا قيمة له، يعني أنه  
 يمكنه أن يمحو فيه ما سلف من الذنوب بالتوبة، وأن يجتهد فيه في بلوغ الدرجات  
 العالية بالعمل الصالح، فأما من فرط في بقية عمره فإنه خاسر، فإن ازداد فيه من الذنوب  
 فذلك هو الخسران المبين. الأعمال بالخواتيم، من أصلح فيما بقي غفر له ما قد مضى،  
 ومن أساء فيما بقي أخذ بما بقي وما مضى.

عش ما بدالك سالماً	في ظل شاهقة القصور
يسعى عليك بما اشتهد	يت لدى الرواح ولدى البكور
فإذا النضوس تقعقت	في ضيق حشرجة الصدور
فهنالك تعلم موقناً	ما كنت إلا في غرور»

(انتهى كلامه رَحِمَهُ اللهُ)

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ فِي «المدهش»: «يا طويل الأمل في قصر الأجل، أما رأيت مستلبًا وما كمل؟ أتؤخر الإنابة وتعجل الزلل؟ التوبة التوبة قبل أن تصل إليك النوبة، الإنابة الإنابة قبل أن يغلق باب الإجابة، الإفافة الإفافة فيا قُرب وقت الفاقة، إنَّها الدنيا سوقٌ للتجر ومجلس وعظ للزجر وليلٌ صيفٍ قريب الفجر.

يا من يعدّ غدًا لتوبته	أعلى يقينٍ من بلوغ غد
المرء في زللٍ على أملٍ	ومنية الإنسان بالرصد
أيام عمرك كلّها عدد	ولعل يومك آخر العدد

اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عنه، وشكرك لمن أغدقتك نعمه، وطاعتك لمن لا ترجو خيرًا إلاّ منه، وبكاءك على قدر ما فاتك منه، وارفع إليه يد الذل في طلب حوائج القلب تأتي وما تشعر» (انتهى كلامه رَحِمَهُ اللهُ).



## الْفَضْلُ السَّلَاسِ

### وظائف أيام العشر ويوم عرفة

إخواني.. اجتهدوا في هذه العشر.. عسى أن تغفر الآثام.. والزموا الطاعة ليل  
نهار.. واحذروا الأكل والمنام.. لا تضيعوا الأوقات فهي غالية.. وطوبى لأهل القرآن..  
وإذا كسلتم أو فترتم فسبحوا.. وفاز أهل الإيمان.. صوموا نهارها وقوموا ليلها.. وسبق  
أهل الإحسان.

إخواني.. الاجتهاد في هذه العشر أفضل من الجهاد.. فاشكروا الرحمن.. وانتهزوا  
الفرصة.. فلا عذر لكسلان.. وأحيوا سحرها.. ففيه نسائم الإيمان.

الغنيمة الغنيمة بانتهاز الفرصة في هذه الأيام العظيمة، فما منها عوض ولا لها قيمة.  
المبادرة المبادرة بالعمل، والعجل العجل قبل هجوم الأجل، قبل أن يندم المفرط على ما  
فعل، قبل أن يسأل الرجعة فيعمل صالحًا، فلا يجاب إلى ما سأل، يا من ذنوبه بعدد الشفع  
والوتر، أما تستحي من الكرام الكاتبين؟ أم أنت ممن يكذب بيوم الدين؟ يا من ظلمة قلبه  
كالليل إذا يسري أما أن لقلبك أن يستنير أو يلين؟ تعرّض لنفحات مولاك في هذه العشر،  
فمن أصابته سعد بها آخر الدهر، لما كان سبحانه وتعالى قد وضع في نفوس المؤمنين حينئذ  
إلى زيارة بيته الحرام وليس كلُّ أحدٍ قادرًا على ذلك في كل عام فرض على المستطيع الحج  
مرة واحدة في عمره، وجعل موسم العشر مشتركًا بين السائرين والقاعدين، فمن عجز  
عن الحج في عامٍ قدر في العشر على عملٍ يعمله في بيته يكون أفضل من الجهاد الذي هو  
أفضل من الحج، وهو ذكر الله، ففي الحديث: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند  
مليكم، وأرفعها في درجاتكم، وخيرٌ من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا  
عدوكم فنضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى. قال: ذكر الله.»

(رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني)

إخواني.. خير الدعاء دعاء عرفة.. فادعوا ربكم وليقم كل منكم بحق الله الذي عرفه.. من فاته التجرد عن الملابس بالإحرام.. فليتجردها هنا عن الذنوب والآثام.. ومن فاته أن يلبي بلسانه.. فليطعها هنا وليلبَّ بجنانه.. ومن فاته الطواف ببيت الرحمن.. فليطف بقلبه في رياض القرآن.. ومن فاته السعي هناك.. فليسع في الخير هاهنا.. ومن فاته الذبح بمنى.. فليذبح هواه، وقد نال المنى.. ومن فاته رمي الجمار.. فليعض شيطانه وليزل الأوزار.. ومن فاته الحلق بالأمواس.. فليزل ما في قلبه من أدناس.. ومن فاته الذكر والدعاء بالمشعر الحرام.. فعليه بهما في السحر والناس نيام.

إخواني القاعدين عن الحج لعذر.. ما فات من الطواف والوقوف بعرفة لا يعوض.. فلا حول ولا قوة إلا بالله وإنا لله وإنا إليه راجعون.. يا عيون المحبين للحج لا تكفِّي عن البكاء.. يا قلوب المشتاقين للحرم لا تتركي الاستياء.. أخوف ما أخاف عليكم أن يكون منعكم للهجر والجفاء<sup>(١)</sup>. زيارة البيت للعارف كالماء والهواء.. فواحسرتاه.. ووالهفتاه.. ووأسفاه.. لولا مخافة الداء<sup>(٢)</sup>.

إخواني.. لا تنقطع الأحزان ولو حججنا العام المقبل.. إذ من وفق لحجة وكان بإمكانه حجتان قد غبن.

إخواني.. كيف تعوضون ما فاتكم من المشاعر والمناسك.. فادعوا ربكم أن يثيبكم بالنية.. واشوقاه إلى الطواف ولذته.. ووالهفتاه على السعي وحلاوته.. ووأسفاه على الإحرام وحرمته.. وواحزنانه على الدعاء بعرفة ومتعته.. اللهم أوْجرنا في مصيبتنا وأخلف لنا خيرًا منها.

(١) أي: أخشى أن يكون الله قد قلى وهجر من حرمه الحج فيكون قد حرمه الحج لجفوة بين ذلك العبد وبين ربه.

(٢) أي: لولا أن التهادي في الحزن والكمد يسبب الاكتئاب والأمراض النفسية لتهدات نفسي في الأحزان على فوات الحج.

يا سائرين إلى البيت الحرام.. لقد سرتهم أجسادًا ونحن سرنا أرواحًا.. إنا أقمنا على عذر.. ومن أقام على عذر كان كمن راحا.. ادعوا لنا بالإثابة وسندعو لكم بالقبول.

إخواني الحجاج.. أتمل القاعدون فيكم، فارفعوا حوائجهم إلى الوهاب.. وسلوا لهم الإثابة بالنية.. عسى أن يجزل الله لكم الثواب.. وادعوا لهم بالصبر.. فقلوبهم في عذاب.. وسلوا لهم الحج من قابل.. فدعاؤكم إن شاء الله مستجاب.. واحذروا العجب والرياء.. وإلا بطل حجكم وطرדתم عن الباب.. حجكم توفيق من الله.. فاشكروا الوهاب..

إخواني... الحجاج في هذه الأيام قد عقدوا الإحرام وقصدوا البيت الحرام، وملئوا الفضاء بالتلبية والتكبير والتهليل والتحميد والإعظام، لقد ساروا وقعدنا، وقربوا وبعدنا فإن كان لنا معهم نصيب سعدنا... القاعد لعذرٍ شريكٍ للسائر، وربما سبق السائر بقلبه السائرين بأبدانهم..

إخواني القاعدين.. ادعوا الله أن يوفق الحجاج ويقبلهم.. عسى أن ترحم الأمة من أجل حجهم.. ولا تحسدوهم ولا تحقدوا.. وادعوا الله أن يرزقكم بمثل ثوابهم.. إنما المؤمنون إخوة.. فطوبى لمن كان قلبه للمسلمين سليماً.. وخاب من حقد وكان أثيماً.. فلا تكونوا كمن يصبر نفسه بكثرة من حُرِّم من الحج.. ولكن كونوا كمن قال: يا ليت الناس كلهم يحجون، فيرحم الله الأمة بهم وإن لم أكن معهم.

### تنبيهان:

١- اختلف العلماء في التعريف، وهو اعتكاف الناس يوم عرفة في المسجد للذكر والدعاء، فقد فعله ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وبعض التابعين، فرأى جوازهُ البعض، ولكن الراجح بدعية هذا الفعل إذ تخصيص أيام غير العشر من رمضان بالاعتكاف بدعة، ولو كان خيرًا لفعله كبار الصحابة - نعم - في المسألة خلاف سائغ، وابن عباس مثاب

لاجهاده، ولكن الراجح بدعية هذا الفعل، وقد نص العلماء على أن الفعل قد يكون بدعة، ولا يعد فاعله مبتدعاً إذا كان مجتهداً متأولاً.

ولكن من لم يستطع الدعاء في بيته في هذا اليوم لظرف ما، كانشغال أهل البيت بالتنظيف وغيره، فله أن يدعو في المسجد دون أن يعتقد أفضلية الدعاء في المسجد، في هذا اليوم، بل عموم قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ (الإعراف: ٥٥)، يدل على استحباب التخفي بالدعاء عن أعين الناس سداً لذريعة الرياء والعجب.

٢- اعتاد البعض الاعتكاف في المساجد أيام العشر الأول من ذي الحجة؛ لعموم قوله ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه العشر»، ولكن هذا الاستدلال غير صحيح، إذ لو شرع الاعتكاف فيها لفعله الصحابة، فقد كانوا أحرص على الخير منا.

فالمدائمة على الاعتكاف في أيام غير العشر الأواخر من رمضان بدعة لا تجوز.

## فَضْلٌ

في ذكر فوائد إيمانية مستفادة من شهر ذي الحجة:

### ١- أهمية الانشغال بالعبادات والمداممة عليها طوال العام:

فإن المرء ربما انشغل بالعلم، وتترك العبادات المستحبة من قيام الليل ومحافضة على الأذكار وقراءة القرآن، ويعزم على تعويض ذلك في مواسم الخير كرمضان وأيام العشر من ذي الحجة، فإذا به يتكاسل في هذه المواسم الفاضلة، وإذا به يُصاب بالفتور والكسل، فليكن في ذلك عبرة للعبد وعظة، وليعلم أن الله لا يجعل عبداً يجتهد في العبادة طوال العام كمن كان مقصراً طوال العام، وقد أشار ابن مسعود إلى ذلك فقال: «مَنْ يَقُمِ الحَوْلَ يُصَبِّ لَيْلَةَ القَدْرِ» ولعل مقصوده - والله أعلم - أنه لا يُوقِّق العبد لحسن أداء هذه الليلة الفاضلة إلا إذا اجتهد طوال العام في القيام، وإلا أصابه في رمضان الكسل والفتور والغفلة.

## ٢- أهمية حفظ القرآن والإكثار من تلاوته:

فإنَّ العبد ربها شُغل في مواسم الخير بعملٍ وكثر انتقاله بين مهامه فيها، فمن كان حافظاً للقرآن مكثراً لقراءته طوال العام سهل عليه الاجتهاد في قراءة القرآن في هذه المواسم وسهل عليه استغلال الوقت الذي يقضيه في الانتقال في قراءة القرآن. ولو من غير تدبر. بخلاف المتكاسل طوال العام فإنه يجد الفتور والكسل في هذه المواسم، وتضيع عليه أوقاته دون فائدة.

إخواني... بينما أنتم بالكاد تقاومون الكسل والفتور.. كان العارفون يجدون في العبادة النور والسرور.. انظروا كيف ضاعت عليكم مواسم الخير.. وأنتم المقصرون..

## ٣- أهمية عبادة الذكر:

فإنَّ إكثار العبد من الذكر في هذه الأيام يورث قلبه حلاوة الإيمان ومحبة الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... وكيف لا وهو أفضل الأعمال عند الله حتى أنه أفضل من الجهاد الخالي عن الذكر!! وإكثار العبد منه في هذه الأيام - حتى في أوقات الفتور والكسل - يورث القلب حلاوة، ولو كانت قليلة إلا أنها أفضل من ضياع الوقت في لا شيء، ففي هذا عظةٌ للعبد وتعليمٌ له أن يستغل أوقات فتوره وكسله بعدد في الذكر، وغيره من الأعمال الصالحة حتى ولو غاب القلب، فشغل النفس بعملٍ خيرٍ من الغفلة والفراغ.

## ٤- طريقة محاسبة النفس الصحيحة:

فإنَّ العبد المؤمن إذا حاول محاسبة نفسه، ومراجعتها لأحوالها في هذه الأيام، ربما يُصاب بشرود الذهن والملل والانقطاع، ففي هذا تعليمٌ للعبد بأن التفكير والمحاسبة لا بد من تمرس النفس عليهما، كما ينبهه على لزوم بحثه عن طريقة صحيحة للتفكير والمحاسبة لا تشرد معها النفس، وأفضل طريقة - والله أعلم - هي قراءة العبد لأقوال

السلف وسيرهم ويقارن نفسه بهم ويحاسب نفسه بموازينهم، فيكون قد حصل العلم والمحاسبة معاً، ولكن يقرأ بتمهل وتدبر، وكلما انتهى من كتاب شرع في آخر ومن أفضل الكتب في ذلك: كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي - كتاب الزهد للإمام أحمد - كتاب حلية الأولياء، مع التحفظ من بعض أقوال الصوفية الخاطئة في كتاب حلية الأولياء - مدارج السالكين - طريق المهجرتين، وكتب ابن القيم عموماً - البيان لأسباب زيادة الإيمان - تهذيب النفوس.

وكذا يقرأ للتفكر في الموت وأمور الآخرة الكتب المعناة بذلك مع تفكره وتدبره فيما يقرأ، وأفضل ما يقرأ لذلك تفسير آيات ذكر الجنة والنار في كتب التفسير - وكذا يقرأ الأحاديث الصحيحة الواردة بذكر أمور الآخرة - وأيضاً كتاب التوهم للمحاسبي - وحادي الأرواح لابن القيم وكتاب التخويف من النار لابن رجب.

#### ٥- أهمية التفرغ للطاعة في هذه الأيام:

فإن كثرة انشغال العبد بالدنيا وهمومها في مواسم الخير يشتمت عليه قلبه، ويذهب عنه كمال حلاوة الطاعة، فعلى العبد أن يتفرغ فيها للطاعة قدر المستطاع.

#### ٦- أهمية تنويع الطاعات:

فإن العبد المؤمن في هذه الأيام يُعنى بالطاعة، ويحرص على استغلال أوقاته كلها في الخير، فربما أصابه الملل والفتور، فإذا نوّع الطاعات زال عنه الملل بفضل الله، وذلك من رحمة الله بعباده المؤمنين أن نوّع لهم الطاعات لعلمه بأن النفوس ملولة.

#### ٧- لا يستمر في العبادة إلا الصادقون:

فربما اجتهد العبد في هذه الأيام وأحسن الطاعة فيها، فإذا جاء العيد وأيام التشريق توسع العبد في بعض المباحات التي أحلها الله وغلبت عليه الغفلة والشهوات، وترك ما

قد بناه في تسع ذي الحجة، وهذه دلالة على عدم الصدق، فالعبد الصادق هو الذي يستمر على الطاعة حتى الممات **قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿وَأَعْبُدُ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيكَ الْيَقِينُ﴾** (المعجم: ٩٩).

قال الحسن البصري: «ما جعل الله لعمل المؤمن أجلاً دون الموت ثم تلا هذه الآية».

فعلى المؤمن أن ينال ممّا أباحه الله من شهوات نيلاً مقتصدًا لا نهمة فيه ولا سرف حتى لا يفسد عليه قلبه وحتى لا تثقل عليه العبادة.

ومن مظاهر عدم الصدق أيضًا أن العبد ربما تعود على الحج في كل عام، فإذا لم يحج في عام لم يجتهد في العبادة والذكر ليعوّض ما فاته من حج، بل يترك العبادة والاجتهاد فيها إذا لم يحج، وذلك علامة على عدم صدقه، وربما كان حرصه على الحج لينال مدح الناس وثناءهم، وليس ابتغاء مرضات الله.

### ٨- الرضا عن الله في كل أقداره:

وذلك أن العبد الذي اشتاقت نفسه للحج يجد أشدّ الأسف على فوات الحج، على الرغم من أنه ربما كان معذورًا غير مستطيع، فاللازم هنا هو الرضا بقضاء الله وتقديره، ولا ينافي ذلك الحزن على فوات الطاعة إلا أن الحزن المطلوب هو الحزن الذي يدفع العبد إلى الاجتهاد في الطاعة تعويضًا لما فات من الحج، وأمّا الحزن الذي يورث العبد اليأس والقعود عن الطاعة، فهذا مذمومٌ وهو من تلبس الشيطان.

وليعلم الراضي عن الله بقضائه - ولو بفوات الحج - أنه بنيته وحسن رضاه بالله ربما فاق من حجّ ببدنه، فإن أعمال القلوب أحب الأعمال إلى الله كما في الحديث: سئل رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». قيل: ثم أي؟ قال: «حجة مبرورة» (وهو حديث صحيح انظر

صحيح التريغيب والترهيب»، وقوله: «إيمان بالله ورسوله» يعني: أعمال القلوب من الرضا والزهد والتوكل والمحبة والصبر والخوف والرجاء وغيرها.

### ٩- ذمَّ العبد نفسه وشعوره بالتقصير:

وذلك أن العبد إذا سعى للاجتهاد في هذه العشر وجد من نفسه غفلةً وتكاسلاً وفتوراً وتقصيراً ربا طالت مدته، وربما قصرت، فحينئذ يوقن بتقصير نفسه، وقلة سعيها في الأعمال الصالحة، وقلة رغبتها في الخير، وميلها وركونها إلى الشهوات، فلربما ينقص إيمانها فلا تكاد تعباً، وينقص منها الدرهم فتبكي... تضيق ذرعاً بصلاة ساعة في الليل، ولا تعباً بالوقوف ساعاتٍ لأخذ مالٍ أو طعامٍ...

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِ «المدهش»: «يا من يخطي على نفسه ويقترف متى تندم وتعترف؟ يا من بحب العاجل قد كلف ستعلم غداً جفن من يكف، يا متردداً في التوبة سارع ولا تقف..... إلى متى أعمالك كلها قباح؟ إلى كم فساد؟ متى يكون الصلاح؟ ستفارق هذه الأجساد الأرواح إتماً في غدٍ وإتماً في رواح، سيفنى هذا المساء والصبح، أفي هذا شك؟ والأمر صراح، هذا حادي الرحيل قد استعجلكم، فالبدار البدار، خلوا كسلكم ودعوا التواني، فالتواني قد قتلكم، وأأسفى سبق الصالحون فماذا شغلكم، قد نُصحتم ووعظتم «فستذكرون ما أقول لكم»

عجبتُ من مستيقظٍ	والقلب منه راقدٌ
مضيّع لدينه	وللذنوب رائدٌ
كأنه على مدا	ه مهمّلٌ وخالدٌ
فحسّنوا أعمالكم	فهي لكم قلائدٌ

(انتهى كلامه - بتصريف)

## الخاتمة

أسأل الله - عَزَّ وَجَلَّ - أن يتقبل هذه الرسالة، وأن ينفعني بها وسائر المسلمين، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، إنه على كل شيء قدير.

وأسأله كذلك أن يجزي الشيخ / أحمد فريد حَفَظَهُ اللهُ خيراً الجزاء على قيامه بالتقديم لهذه الرسالة رغم كثرة أشغاله وضيق وقته، فأسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناته، وأن يحفظه هو وسائر العلماء والدعاة المصلحين.

وأخبر دعوانا أنت الحمد لله رب العالمين..

